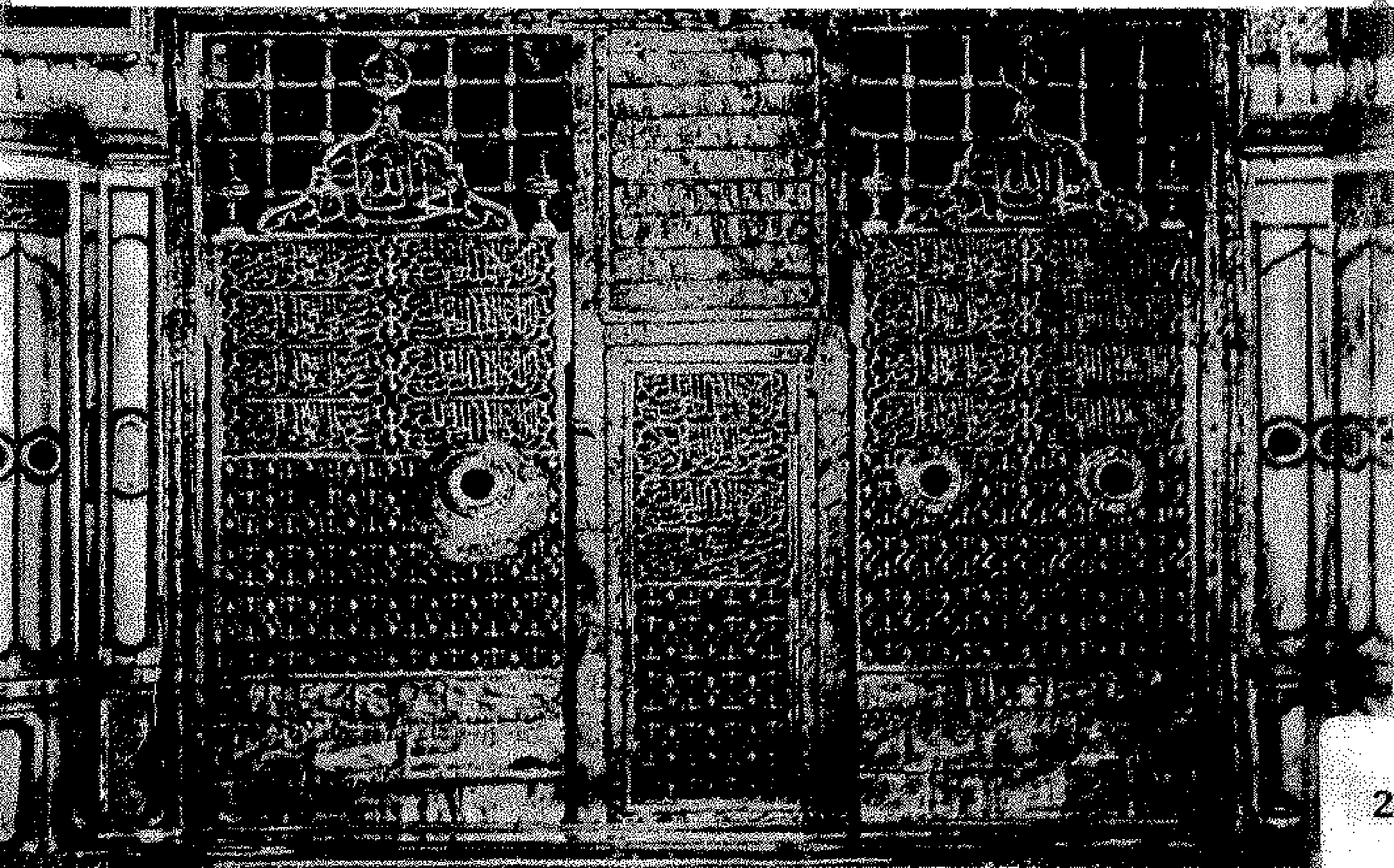
دار المدينة المنورة
تقدم لك

بشرى الأخيار في مولد المختار

صلى الله عليه وسلم



للإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم
أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم

طبع بإذن من
شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم
المحامي بالنقض

دار المدينة المنورة

تقدم لك

بشائر الأخيار في مولد المختار

صلى الله عليه وسلم

للإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم

طبع بإذن من

شيخ الطريقة العزمية

السيد عز الدين ماضي أبو العزائم

المحامي بالنقض

اهداءات ١٩٩٨
مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة



طبعات الكتاب

الطبعة الأولى غرة ربيع أول ١٣٤٠ هـ

٢ / ١١ / ١٩٢١ م

الطبعة الثانية غرة ربيع أول ١٣٨٧ هـ

٩ / ٦ / ١٩٦٧ م

الطبعة الثالثة غرة ربيع أول ١٣٩٩ هـ

٢٩ / ١ / ١٩٧٩ م

الطبعة الرابعة غرة رجب ١٤٠٥ هـ

٢٢ / ٣ / ١٩٨٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله أحمده كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد النبى الأعظم ، من أضاء سريرة الكون بنور رسالته ، وعلى آله الطيبين الطاهرين . ورضى الله تبارك وتعالى عن إمامنا ومرشدنا الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، ونضر الله وجه خليفته الأول مولانا الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم آمين . وبعد ...

فتقدم دار المدينة المنورة — وهى إحدى الهيئات التابعة لمشيخة السادة العزمية — الطبعة الرابعة من كتاب : « **بشائر الأخيار فى مولد المختار ﷺ** » ، وذلك فى عبير الجو النورانى الذى يعطر الحياة بأنفاس شهر ربيع الأول ، شهر مولد النور ، ومبعث الرحمة ، ورسول الهدى ، الذى ولد على قدر وميقات ، لتبلغ به صلى الله عليه وسلم الإنسانية كمالها ، وتطلق العقول من أغلالها ، وترتفع إلى ربها بالمحبة .

فلقد كانت تتردد فى ليلة مولد الرسول ﷺ قصص قديمة ، فيها كثير من الأساطير التى لا تتفق مع حقائق السيرة النبوية الصحيحة ، فأملى الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم قصة المولد فى هذا الثوب الجديد . وبذلك جاءت هذه القصة ، علاجا لما كنا نشكو منه مر الشكوى من الخرافات التى أضيفت إلى حقائق السيرة ، التى كانت تتردد بمناسبة إحياء مولد الرسول ﷺ .

وكتاب : « **بشائر الأخيار فى مولد المختار ﷺ** » كنت قد تناولت فى مقدمة طبعته السابقة حكم الاحتفال بمولده ﷺ خاصة ، وموالد أهل البيت وأولياء الله الصالحين عامة ولكنى رأيت أن أفرد هذا البحث فى كتاب سأصدره قريباً بمشيئة الله بأسم : « أحياء مولد البشير يبدد ظلمة قلوب أهل التكفير » .

وكتاب : « **بشائر الأخيار فى مولد المختار ﷺ** » يتضمن أبوابا ستة .

الباب الأول يوضح فيه الإمام أبو العزائم نسبه ﷺ ، وأنه ولد من الأصلاب الطيبة والأرحام الطاهرة مصفى ، لا تتشعب شعبتان إلا كان ﷺ فى خيرهما .

الباب الثانى فيبين فيه رضى الله عنه مولده الشريف ، ذلك اليوم المشهود يوم الحق والخلود ، يوم أن أشرقت الأرض بنور ربها ، فبرز إلى الوجود صفوة خلق الله أجمعين وسيد الأنبياء وإمام المرسلين .

وفى **الباب الثالث** دراسة مقارنة بينه ﷺ وبين موسى عليه السلام من جانب ، وبينه وبين سائر الأنبياء الكرام من جانب آخر ، ليتضح للقارىء المسلم أنه جاء صلوات الله وسلامه عليه جامعا لخصائص الأنبياء كافة ، ثم ظفر فوق ذلك بالمقام المحمود الذى لا ينبغى لأحد سواه .

وفى **الباب الرابع** يدور البحث حول أن الرسول ﷺ ، رحمة الله المهداة ، ونعمته المسداة ، ليصنع منا خير أمة أخرجت للناس .

وفى **الباب الخامس** يعنى الإمام بموضوع حكم الاحتفال بالمولد النبوى الشريف من الوجهة الشرعية .

وفى **الباب السادس** نختتم قصة المولد بفيض من القصائد المحمدية للإمام أبى العزائم .

فإذا كنت قد نجحت فى عرض موضوعات البحث ، وتبويب مسائله ، وتقسيم مواده ، وتحقيق الأغراض التى قصدت إليها ، على النحو الذى سيبين للقارىء عند تصفحه لهذا الكتاب . فإنى أرجو أن أكون قد وفقت إلى وضع منهج لم يكن معروفا من قبل فى نشر مؤلفات الإمام أبى العزائم ، يقوم على أساسه إخراج هذه الثروة العلمية . كما اهتديت إلى رسم معالم محددة لتراث علمى ينبغى أن يعتبر بعثا عقليا جديدا ، يضاف إلى ثروة الثقافة الإسلامية .

وإننى إذ أقدم قصة المولد (**بشائر الأخيار فى مولد المختار** ﷺ) أريد أن أسهم به فى إيجاد نهضة لإحياء دراسة كتب الإمام أبى العزائم على نسق جديد ، كما أريد أن أعاون على نشر هذا التراث العلمى ، وبذلك أضرع إلى الله أن أكون محل تنزل دعوات جدى الإمام التى أوردها فى ختام هذا المولد حيث يقول رضى الله عنه :

« اللهم تنزل بإحسانك وعفوك وحنانك ، لكل من أعان على تلاوة هذا المولد الشريف واجعله يا إلٓهى فى حصون الأمان ..... »

فالله أسأل أن يبدو هذا الكتاب فى ثوبه الجديد أحسن وضعا ، وأحكم صنعا ، وأنظم بحثا ، خاصة بعد أن راعيت فى طبعته هذه تحقيق بعض أعلامه ، وضبط بعض ألفاظه ، وإيضاح ماخفى من عباراته وكلماته ليكون أقرب منالا ، وأسرع بالفهم اتصالا ، حتى يحقق ما تقصد إليه السيرة النبوية الطاهرة ، لتكون للمؤمنين الأسوة الحسنة فيقوموا على هديها ، ويترسموا خطاها ، ويأخذوا بعزماتها ، وينهجوا منهاجها ، والله المستعان وبه التوفيق ، سبحانه ، نعم المولى ونعم النصير .

مشيخة السادة العزمية

فى يوم الإثنين ٢٦ جماد ثانى ١٤٠٥ هـ
١٨ مارس ١٩٨٥ م

شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضى أبو العزائم
المحامى بالنقض

بسم الله الرحمن الرحيم

التماس الطبعة الأولى

للإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم

١٣٤٠ هـ ـــ ١٩٢١ م

الحمد لله إذا دُعى به على مغالق أبواب السماء انفتحت ، ومضائق أبواب الأرض انفرجت ، وعلى العُسَر تيسرت ، وعلى الأموات انتشرت ، وعلى البأساء والضراء انكشفت . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ أفضل صلواتك وأجزل كراماتك ، وبلّغه منا تحية وسلاما . وعلى آله حجج الله الأوفياء ، وأوليائه الأمناء . ورضى الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم القائم بأمره والعامل بإرادته ، والفائز بكرامته ، من أقامه المولى إماما لهذا الزمان ، فاصطفاه بعلمه ، وأمده بروحه ، واستخلفه للدلالة على صراطه المستقيم ، بين هذه السبل التى تفرقت عن سبيله .

وبعد :

فإن مولد سيدنا رسول الله ﷺ يرسم لنا الخط الفاصل بين مرحلتين فى تاريخ البشرية ، مرحلة الجاهلية والظلم والتخلف والطغيان ، ومرحلة الهدى والعدل والحضارة الإنسانية السامية .

لذلك فقد تعالى صوت المستضعفين ، ومدت الموءودة يدها ، وتهامست القلوب المعذبة ، ودارت العيون الحيرى ، تبحث عن المنقذ والهادى ، تبحث عن الأمل الموعود ، عن النبى المنتظر ، دعوة إبراهيم ، ونبوءة موسى ، وترنيمة دواد ، وبشارة عيسى . والكل يتساءل !!

متى تستجاب الدعوة ؟

ومتى تتحقق النبــوءة ؟

ومتى تسمع الترنيمــة ؟

ومتى تأتى البشــــارة ؟

وشاء الله أن يولد النور فى رحاب مكة ، ويشع الوحى فى سمائها ، ويعلو صوت التوحيد فى الحرم الأمين ، حرم إبراهيم وإسماعيل .

وقد صَنَّفَ فى مولد الرسول – كبار علماء الأمة من الحفاظ الأئمة – كتبا كثيرة ، وظهرت لهم موالد مشهورة معروفة ، منها المنظوم والمنثور . لذلك فقد التمستُ من والدى الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم أن يملى علينا كتابا عن مولد الرسول ﷺ ، فأجاب ملتمسنا وأملى كتاب : « **بشائر الأخيار فى مولد المختار ﷺ** » .

وإنى لن ألخص موضوعه فأفسد على التالى لهذا المولد متعته به ، ولكننى أسأل الله أن يُنتفع به ، ويُجْزِلَ الثواب لمن تابع نشره .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ للهِ الذى أظهرَ غيبَهُ المكنُونَ جليًا ، وأشهد أولياءهُ الجمالَ العلىّ ، خلقَ الخلقَ سبحانَهُ ليدُلّهُم بِهِ عليهِ ، وليُوصِلَهُم بحبيبهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ إليهِ .

خلقَ النورَ المحمّدِىّ مِن نورِهِ العلىّ ، وواثقَ لهُ الرُّسُلَ فهُوَ لهُم الولىُّ ، أشرقَتْ أنوارُهُ بدءًا لأرواحٍ عالين ، فهُوَ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ رسُولُ المُرسلين ، قالَ سُبحانَهُ: (وَمَا أرسلنَاكَ إلّا كافّةً للنّاسِ بشيرًا ونذيرًا) وقالَ سُبحانَهُ: (وَمَا أرسَلنَاكَ إلّا رحمةً للعالمين) أقامَهُ سُبحانَهُ مقامَ نفسِهِ، وقرّبَهُ وَوالاهُ ، فقالَ جلّ جلالُهُ: (مَن يُطِعِ الرّسُولَ فقَدْ أطاعَ اللهَ)، وقالَ سُبحانَهُ: (إنّ الّذِينَ يُبايعُونَكَ إنّما يُبايعُونَ اللهَ).

والصّلاةُ والسّلامُ على حبيبِ اللهِ ومُصطفاهُ ، شمسِ الحقّ المُشرِقةِ بنورِ هُداهُ ، شفيعِ المُذنبينَ يومَ لاينفعُ مالُ

وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

وَبَعْدُ فَيَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ - مُحَمَّدٌ مَاضِي أَبُو الْعَزَائِمِ : مَعْلُومٌ أَنَّ كَمَالَ الاتِّبَاعِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَتَحَقَّقُ بِكَمَالِ مَحَبَّتِهِ ، وَبِالْإِخْلَاصِ فِي مُعَامَلَتِهِ ، حَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ إِلَى الْمُسْلِمِ مِنْ نَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ لِيَفُوزَ مِنَ اللَّهِ بِخَيْرِ مَا لَدَيْهِ .

وَلَمَّا كَانَ الْحُبُّ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِمُشَاهَدَةِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَعِلْمِ الْمَقَامَاتِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ ، وَفَهْمِ مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ حَقِيقَةِ الاصْطِفَا ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِهِ مِنَ الصَّفَا ، أَحْبَبْتُ أَنْ أُبَيِّنَ قَطْرَةً مِنْ مُحِيطِ كَمَالَاتِهِ ، وَبَارِقَةً مِنْ سَوَاطِعِ آيَاتِهِ ، لِتُشْرِقَ تِلْكَ الْأَنْوَارُ الْعَلِيَّةُ ، عَلَى جَوَاهِرِ النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ ، الَّتِي صَاغَهَا اللَّهُ مِنْ نُورِ إِحْسَانِهِ ، لِتَنْجَذِبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِجَوَاذِبِ حَنَانِهِ .

وَأَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَكُونَ لِي قِسْطًا وَافِرًا مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَارِ ، لِأَتَمَثَّلَ الْحَقِيقَةَ بِهَذَا الْمِقْدَارِ ، وَأَحْظَى بِالْمُثُولِ فِي مُوَاجَهَةِ الْمُخْتَارِ ، اللَّهُمَّ اشْرَحْ صُدُورَنَا لِلْعَمَلِ بِسُنَّتِهِ ، وَرَوِّحْ أَرْوَاحَنَا بِرَيْحَانِ مَحَبَّتِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

الباب الأول

في النسب وبدء النبوة والحمل

الفصل الأول

نسبه الشريف

تَحَقَّقَتْ عِنَايَةُ اللهِ تَعَالَى ، مِنَ الْبَدْءِ إِلَى النِّهَايَةِ بِمُرَادِهِ الْمَحْبُوبِ ، وَفَرْدِهِ الْمَطْلُوبِ فَصَاغَ جَوْهَرَ نَفْسِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نُورِهِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ ، وَأَقَامَهُ فِي مَقَامِ الْمُوَاجَهَةِ ، وَأَقْبَلَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ ، فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا وُجُودَ لِرُوحٍ وَلَا مَلَكٍ ، بَلْ وَلَا مُحِيطٍ وَلَا فَلَكٍ ، مُوَاجِهًا بِأَنْوَارِ الْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ ، مُجَمَّلًا بِجَنَانَةِ مَنَازِلِهِ النَّعَمُوتِ . كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَابِرٍ ، جَوَابًا عَلَى سُؤَالِهِ الْمُتَوَاتِرِ : « خَلَقَ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ يَا جَابِرُ » .

لِذَلِكَ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ الْعَلِيَّةُ انْتِقَالَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكَمَالِ الْخُصُوصِيَّةِ . مِنْ ظُهُورِ الْأَفْرَادِ إِلَى الْبُطُونِ الْمَصُونَةِ النَّقِيَّةِ ، فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ظُهُورِ آدَمَ حَقِيقَةَ الْأَنْوَارِ ، ثُمَّ تَنَقَّلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَئِمَّةِ الْأَخْيَارِ ،

السَّادَةِ الْأَطْهَارِ ، حَتَّى أَبْرَزَهُ اللَّهُ شَمْسًا أَضَاءَتْ الآفَاقَ ، فَأَظْهَرَتْ أَنْوَارَ الخَلَّاقِ .

فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا وَحَبِيبُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، ابْنُ كَنْزِ هَذِهِ الدُّرَّةِ الْيَتِيمَةِ الذَّبِيحِ عَبْدِ اللَّهِ ، بْنُ شَيْبَةَ الْحَمْدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي حَفَرَ زَمْزَمَ وَمَوْلَاهُ وَالَاهُ ، بْنُ هَاشِمٍ الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِزُوَّارِ بَيْتِ اللَّهِ ، بْنُ قَمَرِ الْبَطْحَاءِ عَبْدِ مَنَافٍ الَّذِي نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ وَاقْتَدَى الْعَرَبُ بِهُدَاهُ ، بْنُ قُصَيٍّ الَّذِي بَعُدَ مَعَ أُمِّهِ وَاللَّهُ أَرْجَعَهُ إِلَى الْحَرَمِ وَفِيهِ رَقَّاهُ ، بْنُ حَكِيمٍ وَسُمِّيَ بِكِلَابٍ لِأَنَّهُ كَانَ فَارِسَ الْحَرَمِ يَحْمِي حِمَاهُ ، وَيَصْطَادُ بِالْكِلَابِ لِيُطْعِمَ مَنْ دَنَاهُ ، بْنُ مُرَّةَ الَّذِي قَهَرَ بِالْحِكْمَةِ مَنْ عَادَاهُ ، بْنُ كَعْبٍ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ بِهِ قُلُوبَ الْعَرَبِ فِي يَوْمِ الْعَرُوبَةِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ لِيُذَكِّرَهُمْ بِبَعْثَةِ رَسُولِ اللَّهِ - وَهُوَ الَّذِي سَمَّى يَوْمَ الْعَرُوبَةِ بِالْجُمُعَةِ لِيَجْمَعَ الْعَرَبَ لِلدُّعَاءِ وَالْمُنَاجَاةِ ، وَبَشَّرَ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَلَدِهِ وَبِأَنَّهُ خَاتَمُ رُسُلِ اللَّهِ ، وَكَانَ يُنْشِدُ بَعْدَ حَثِّ الْعَرَبِ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَالإِيمَانِ بِهِ

يَا لَيْتَنِي شَاهِدٌ فَحْوَاءَ دَعْوَتِهِ ... حِينَ الْعَشِيرَةُ تَبْغِي الْحَقَّ خُذْلَانَا

ابْنُ لُؤَيّ بْنُ غَالِبِ بْنُ فِهرٍ وَسُمِّيَ قُرَيْشًا لِأَنَّهُ كَانَ يَبْحَثُ عَنِ الْمُحتَاجِ
فَيُعْطِيهِ مُنَاهُ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ قُرَيْشُ لِأَنَّهُ قَرَشَ الْمُحتَاجِينَ وَوَسِعَهُمْ
بِنُعْمَاهُ، بْنُ مَالِكٍ لِأَنَّهُ مَلَكَ الْحَرَمَ وَمَا حَوَاهُ بْنُ النَّضْرِ وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنِ
كِنَانَةَ وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ قُرَيْشًا بِحِكَمِهِ وَجَدْوَاهُ. بْنُ خُزَيْمَةَ بْنُ مُدْرِكَةَ بْنُ
إِلْيَاسَ، وَإِلْيَاسُ أَوَّلُ مَنْ أَهْدَى الْبُدْنَ لِلْبَيْتِ فَاسْتَنَّتِ الْعَرَبُ بِهُدَاهُ،
وَسَمِعَ فِي صُلْبِهِ تَلْبِيَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجِّ سَامِعًا دُعَاهُ
ابْنُ مُضَرَ بْنُ نِزَارٍ، وَسُمِّيَ نِزَارًا لِشُهُودِ نُورِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَشَكَرَ أَبُوهُ اللَّهَ، وَأَطْعَمَ الْعَرَبَ وَقَالَ: (هَذَا الطَّعَامُ
نَزْرٌ - أَيْ قَلِيلٌ - فِي جَانِبِ مَا مَنَحَنَا اللَّهُ) ابْنُ مَعَدِّ بْنُ
عَدْنَانَ وَإِلَيْهِ انْتَهَى عِقْدُ النَّسَبِ الشَّرِيفِ شَرْعًا وَمَا تَعَدَّاهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا انْتَسَبَ لَمْ يُجَاوِزْ مَعَدّ بْن عَدْنَانَ، وَصَاحِبُ مُسْنَدِ
الْفِرْدَوْسِ رَوَاهُ. وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ الشَّرِيفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
سَيِّدِنَا إِسْمَاعِيلَ الذَّبِيحِ حَقًّا، وَغَيْرَ هَذَا الْقَوْلِ لَا نَرْضَاهُ.

عِقْدُ مَجْدٍ وَسُؤْدُدٍ وَفَخَارٍ   كَوْكَبُ الْعِقْدِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ

كَانَ نُورًا فِي وَجْهِ آدَمَ بَدْءًا ... ثُمَّ مِنْهُ لِلسَّادَةِ الْأَخْيَارِ

مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى يَوْمِ عِيسَى ... وَهُوَ شَمْسٌ وَمَصْدَرُ الْأَنْوَارِ

مِنْ نَبِيٍّ إِلَى رَسُولٍ كَرِيمٍ ... أَوْ وَفِيٍّ مِنْ صَفْوَةِ الْأَطْهَارِ

شَمْسُهُ قَدْ تَلُوحُ فِي كُلِّ عَصْرٍ ... مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى الْأَطْهَارِ

أَشْرَقَتْ سَيِّدِي بِغَيْرِ غُرُوبٍ ... نُورَ كَشْفٍ أَوْ نُورُهَا الْإِسْفَارِي

مِنْ أَبٍ مَاجِدٍ لِجَدٍّ كَرِيمٍ ... أَصْلُكَ النُّورُ مِنْ عَلِيٍّ بَارِي

يَا ضِيَاءً أَشْرَقْتَ بَدْءًا مُشِيرًا ... لِلْجَمَالِ الْعَلِيِّ نُورُكَ سَارِي

نَظْرَةَ الْوُدِّ يَا حَبِيبِي لِمُضْنًى ... بِالْكِرَامِ الْأَجْدَادِ أَهْلِ الْفَخَارِ

أَنْتَ شَمْسٌ لِلرُّسْلِ مِنْكَ تَحَلَّوْا ... بِالْأَيَادِي فِي مُحْكَمِ الْأَسْفَارِ

مِنْكَ نَالُوا فَخَارَهُمْ يَا حَبِيبِي ... أَسْعِدِ الصَّبَّ بِالظُّهُورِ الْمُدَارِ

* * *

الفصل الثاني

بدء نبوته

ثَبتَتْ نُبُوَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ خَلْقِ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَادُ ذَاتِ اللَّهِ الْعَلِيَّةِ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَخْلُوقٍ وَخَاتَمَ الرُّسُلِ بِحِكْمَةٍ وَمَزِيَّةٍ، لِأَنَّ أَوَّلَ الْإِرَادَةِ آخِرُ الْعَمَلِ وَأَنْوَارُهُ بَدْءًا وَخَتْمًا جَلِيَّةٌ، وَآيَاتُ اللَّهِ تَعَالَى أَكْمَلُ بُرْهَانٍ، تَطْمَئِنُّ بِهِ قُلُوبُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى مُبَيِّنًا قَدْرَهُ الْعَظِيمَ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ. ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي، قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)

كَانَ الْمِيثَاقُ كَشْفًا وَعِيَانًا، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَابًا لِمَيْسَرَةَ الضَّبِّيِّ لِيَتَبَيَّنَ كُلَّ الْبَيَانِ، قُلْتُ (يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟) قَالَ (وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ) يَعْنِي أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَا آدَمَ بِإِيقَانٍ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنِّي

عِنْدَ اللهِ لَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ) ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَادُ الرَّحْمَنِ . وَالْآثَارُ الدَّالَّةُ عَلَى شَرَفِهِ بِالنُّبُوَّةِ بَدْءًا لَيْسَ حَصْرُهَا فِي الْإِمْكَانِ .

وهنا أتكلم مع أهل التسليم من كل مؤمن كريم :-

إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِحِكْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، وَأَرَادَ سُبْحَانَهُ إِبْرَازَهَا بِقُدْرَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ ، فَخَلَقَ فَرْدًا وَاحِدًا مُرَادًا لِحَضْرَتِهِ ، وَصَاغَهُ مِنْ نُورِ حَنَانَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَخَلَقَ لِحَبِيبِهِ وَمِنْهُ مَنْ سِوَاهُ وَمَا سِوَاهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ ، وَجَمَّلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَمَالِ مَحَابِّهِ وَمَرَاضِيهِ ، لِيَكُونَ دُرَّةَ هَذَا الْعِقْدِ الثَّمِينَةَ الْمُشِيرَةَ إِلَى مَعَالِيهِ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِنِّي خَلَقْتُ مُحَمَّدًا لِذَاتِي وَخَلَقْتُ آدَمَ لِمُحَمَّدٍ وَخَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ لِبَنِي آدَمَ ، فَمَنْ شَغَلَهُ مَا خَلَقْتُ لَهُ أَبْعَدْتُهُ عَنِّي) .

فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِيُّ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَرَسُولُ الْأُمِّيِّينَ ، الْمُمِدُّ بِرُوحَانِيَّتِهِ بِنَصِّ الْمِيثَاقِ أَرْوَاحَ الرُّسُلِ وَالنَّبِيِّينَ ، وَإِنْ خَالَفَنَا مَنْ لَا يَرَى إِثْبَاتَ النُّبُوَّةِ قَبْلَ الْخَلْقِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ تَشْرِيفٌ لِقَدْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَقِّ ، وَالْحَقَائِقُ

مُنكَشِفَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى قَبْلَ الْمَكَانِ ، وَمَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ الْمِيثَاقِ وَعَهْدَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ يَتَجَمَّلُ بِمَقَامِ التَّسْلِيمِ وَالْإِحْسَانِ .

ثَبَتَتْ نُبُوَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تَشْرُقَ شَمْسُهُ فِي الْآفَاقِ ، بِمُحْكَمِ آيَاتِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ . بِالْبَشَائِرِ مِنَ الْمُنْعِمِ الرَّزَّاقِ ، وَبِمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْكَرَامَاتِ قَبْلَ وِلَادَتِهِ وَبَعْثَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلِيًّا لِلْعِيَانِ ، فَقَدْ خَمَدَتْ نَارُ فَارِس وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِيَّةَ وَفَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ حَتَّى عَمَّتِ الْأَرْكَانَ ، وَتَوَالَتِ الْبَشَائِرُ فَنَطَقَتِ الْحَيَوَانَاتُ وَتَنَكَّسَتِ الْأَوْثَانُ ، وَرَدَّ اللَّهُ أَبْرَهَةَ بِفِيلِهِ بِرَجْمِ أَبَابِيلَ فَبَاءَ بِالْحِرْمَانِ ، فَهُوَ رَحْمَةُ اللَّهِ الْعَامَّةُ لِجَمِيعِ الْأَنَامِ مِنْ لَدُنْ بَدْئِهِ إِلَى الْخِتَامِ ، وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ فِي صَرِيحِ الْفُرْقَانِ ، وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ فَارِقًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِمَا أَوْلَاهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالتِّبْيَانِ

* * *

الفصل الثالث

فى حمله عليه الصلاة والسلام

أَظهرَ اللهُ نورَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلألأ في وَجْهِ والِدِهِ مَشْهُودًا، وَكانَ عَبْدُ اللهِ لِوالِدِهِ بَرًّا ودُودًا، وَخَيْرَ إِخْوَتِهِ حِلْمًا وَجُودًا، وَأَعفَّهُمْ بُعْدًا عَنِ الْغَزَلِ وَصُدُودًا.

تَعرَّضَتْ لَهُ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ غَنِيَّةٌ كامِلَةُ النَّسَبِ وَالْعَقْلِ قُرَشِيَّةٌ وَطَلَبَتْهُ عَلَى أَنْ تُعْطِيَهُ مالًا كَثِيرًا، وَتَمْنَحُهُ إِنْ أَطاعَها خَيْرًا وَفِيرًا، فَأَبى إِباءَ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ، وَجَعَلَهُ كَنْزًا لِحَبِيبِهِ وَمُصْطَفاهُ، وَتَمَثَّلَ قَائِلًا:

أَمَّا الْحَرامُ فَالْمَماتُ دُونَهْ ... وَالْحِلُّ لَاحِلَّ فَأَسْتَبِينَهْ

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِى تَبْغِينَهْ ... يَحْمِى الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهْ

تِلْكَ عِنايَةُ اللهِ بِفَرْدِ ذاتِهِ الْمَحْبُوبِ، وَهُوَ فِي كَنْزِ الْغُيُوبِ.

هَذا وَقَدْ مَنَحَ اللهُ الْعِنايَةَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِوَلَدِهِ عَبْدِ اللهِ، صَوْنًا لِسَيِّدِ رُسُلِهِ الْكِرامِ وَإِظْهارًا لِعُلاهُ فَاخْتارَ لَهُ جَوْهَرَةَ كَنْزِ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ، آمِنَةَ ابْنَةَ وَهْبٍ مَصْدَرَ الْجُودِ وَالتُّحَفِ.

فَتَزَوَّجَهَا لِيُظْهِرَ اللَّهُ مَكْنُونَ أَسْرَارِهِ ، وَدَخَلَ بِهَا لِيُشْرِقَ اللَّهُ مِنْهَا شَمْسَ أَنْوَارِهِ . فَكَانَتْ أُفُقَ هَذَا الْكَوْكَبِ الْمُضِيءِ لِلْعَالِينَ ، وَصَدَفَةَ دُرَّةِ عِقْدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَقَدْ بَشَّرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِآدَمَ وَهُوَ هَيْكَلٌ مِنْ طِينٍ ، فَكَيْفَ تَكُونُ الْبَشَائِرُ بِحَبِيبِ اللَّهِ وَمُصْطَفَاهُ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، فَتَوَالَتِ الْبُشْرَى مِنْ عَالَمٍ عَالِينَ ، وَسَرَتْ فِي مَلَكُوتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

ثُمَّ تَوَالَتْ تِلْكَ الْبَشَائِرُ إِلَى كُلِّ كَائِنٍ فِي الْأَرْضِ بِآيَاتٍ جَلِيَّةٍ ، فَبَشَّرَتْ بِهِ الْحَيَوَانَاتُ فِي الْقِفَارِ بِعِبَارَاتٍ عَرَبِيَّةٍ ، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ مُرَادُ ذَاتِ اللَّهِ وَالْمَخْصُوصُ بِالسَّابِقِيَّةِ ، ظَهَرَتِ الْآيَاتُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ لِمَنْ دَرَسُوا الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ ، وَتَوَالَتِ الْهَوَاتِفُ عَلَى الْكُهَّانِ بِقُرْبِ إِشْرَاقِ شَمْسِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ .

وَانْتَشَرَتِ الْأَفْرَاحُ فِي الْجَنَّاتِ ، وَعَمَّتْ فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ الْمَسَرَّاتُ ، حُبُورًا بِحَمْلِ آمِنَةَ بِمَنْ لِأَجْلِهِ خُلِقَتِ الْكَائِنَاتُ ، وَهَطَلَتِ السَّمَاءُ بِغَيْثِ الْإِغَاثَةِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِمَنْ أَضَرَّهُمُ الْجَدْبُ ، وَفَرَّجَهُمْ سُبْحَانَهُ بِفَضْلِهِ بَعْدَ الشِّدَّةِ وَالْكَرْبِ . وَبَارَكَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ بِبَرَكَةِ الْحَمْلِ بِهِ فِي الزَّرْعِ ، حَتَّى كَثُرَ الْخَيْرُ وَدَرَّ الضَّرْعُ .

وَصَارَ الْخَيْرُ يَتَوَالَى بِتَوَالِي أَيَّامِهِ الْمَيْمُونَةِ، وَالْبَرَكَاتُ تُفَاضُ بِالْمَسَرَّاتِ مَقْرُونَةً.
وَهُنَا أُشَرِّفُ سَمْعَكَ بِمَا أَوْرَدَهُ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ، مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي مَوْلِدِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، قَالَ بِسَنَدِهِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: (بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ وَهُوَ مُدْرَةُ قَوْمِهِ - يَعْنِي سَيِّدُهُمْ - يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهُ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا، وَنَسَبَهُ إِلَى جَدِّهِ فَقَالَ: "يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" إِنِّي أُنْبِئْتُ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، أَرْسَلَكَ بِمَا أَرْسَلَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، أَلَا وَإِنَّكَ فُهْتَ بِعَظِيمٍ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْخُلَفَاءُ فِي بَيْتَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ هَذِهِ الْحِجَارَةَ وَالْأَوْثَانَ. فَمَا لَكَ وَالنُّبُوَّةَ؟ وَلَكِنْ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةٌ، فَأَنْبِئْنِي بِحَقِيقَةِ قَوْلِكَ، وَبَدْءِ شَأْنِكَ"، " قَالَ: فَأَعْجَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَسَاْلَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: "يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ" إِنَّ لِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي تَسْأَلُنِي عَنْهُ نَبَأً وَمَجْلِسًا". فَاجْلِسْ، فَثَنَى رِجْلَيْهِ، ثُمَّ بَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، فَاسْتَقْبَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَدِيثِ فَقَالَ:

يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ، إِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِي وَبَدْءَ شَأْنِي . أَنِّي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، وَإِنِّي كُنْتُ بِكْرَ أُمِّي ، وَأَنَّهَا حَمَلَتْ بِي فَلَمْ تَجِدْ لِي ثِقَلاً ، وَلاَ وَحَماً كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ ، ثُمَّ إِنَّ أُمِّي رَأَتْ فِي الْمَنَامِ أَنَّ الَّذِي فِي بَطْنِهَا نُورٌ ، قَالَتْ : فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ بَصَرِي النُّورَ ، وَالنُّورُ يَسْبِقُ بَصَرِي حَتَّى أَضَاءَتْ لِي مَشَارِقُ الأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا . ثُمَّ إِنَّهَا وَلَدَتْنِي فَنَشَأْتُ فَلَمَّا أَنْ نَشَأْتُ بُغِّضَتْ إِلَيَّ أَوْثَانُ قُرَيْشٍ ، وَبُغِّضَ إِلَيَّ الشِّعْرُ .

وَكُنْتُ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ مُنْتَبِذٌ مِنْ أَهْلِي فِي بَطْنِ وَادٍ مَعَ أَتْرَابٍ لِي مِنَ الصِّبْيَانِ نَتَقَاذَفُ بَيْنَنَا بِالْجُلَّةِ ، إِذْ أَتَانَا رَهْطٌ ثَلاثَةٌ ، مَعَهُمْ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَلِيءٌ ثَلْجًا ، فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي ، فَخَرَجَ أَصْحَابِي هِرَابًا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي ، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى الرَّهْطِ فَقَالُوا مَا أَرَبُكُمْ إِلَى هَذَا الْغُلامِ ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا ، هَذَا ابْنُ سَيِّدِ قُرَيْشٍ ، وَهُوَ مُسْتَرْضِعٌ فِينَا مِنْ غُلامٍ يَتِيمٍ لَيْسَ لَهُ أَبٌ ، فَمَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ قَتْلُهُ ، وَمَاذَا تُصِيبُونَ مِنْ ذَلِكَ ؟ وَلَكِنْ إِنْ

كُنْتُمْ لَابُدَّ قَاتِلِيه فَاخْتَارُوا مِنَّا أَيَّنَا شِئْتُمْ فَلْيَأْتِكُمْ مَكَانَهُ فَاقْتُلُوهُ ، وَدَعُوا هَذَا الْغُلَامَ فَإِنَّهُ يَتِيمٌ ، فَلَمَّا رَأَى الصِّبْيَانُ الْقَوْمَ لَا يُحِيرُونَ إِلَيْهِمْ جَوَابًا ، انْطَلَقُوا هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ يُؤْذِنُونَهُمْ وَيَسْتَصْرِخُونَهُمْ عَلَى الْقَوْمِ .

فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الْأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا ، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَمْ أَجِدْ لِذَلِكَ مَسًّا ، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي ، ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ الثَّلْجِ ، فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا ، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : تَنَحَّ ، فَنَحَّاهُ عَنِّي ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي فَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَصَدَعَهُ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ فَرَمَى بِهَا ثُمَّ مَالَ بِيَدِهِ يَمْنَةً مِنْهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا ، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاظِرُونَ دُونَهُ ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلَأَ نُورًا ، وَذَلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ ، " فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا " ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ : تَنَحَّ فَنَحَّاهُ عَنِّي ، فَأَمَرَّ يَدَهُ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي ، فَالْتَأَمَ

ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا .

ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ الَّذِي شَقَّ بَطْنِي زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ فَقَالَ : دَعُوهُ فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ ، قَالَ : ثُمَّ ضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ، ثُمَّ قَالُوا "يَا حَبِيبُ لَمْ تُرَعْ" إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ".

قَالَ : فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَنَا بِالْحَيِّ قَدْ جَاءُوا بِحَذَافِيرِهِمْ ، وَإِذَا أُمِّي وَهِيَ ظِئْرِي أَمَامَ الْحَيِّ تَهْتِفُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا وَتَقُولُ يَا ضَعِيفَاهُ !! قَالَ : فَانْكَبُّوا عَلَيَّ فَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ فَقَالُوا: حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ ، ثُمَّ قَالَتْ ظِئْرِي يَا وَحِيدَاهُ !! فَانْكَبُّوا عَلَيَّ فَضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ثُمَّ قَالُوا : حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ وَحِيدٍ وَمَا أَنْتَ بِوَحِيدٍ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَتْ ظِئْرِي "يَا يَتِيمَاهُ!! اسْتُضْعِفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ فَقُتِلْتَ لِضَعْفِكَ" فَانْكَبُّوا عَلَيَّ فَضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ

وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ وَقَالُوا حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ ، " مَا أَكْرَمَكَ عَلَى اللَّهِ " ، لَوْ تَعْلَمُ مَاذَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ ، قَالَ فَوَصَلُوا بِي إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي .

فَلَمَّا بَصُرَتْ بِي أُمِّي وَهِيَ ظِئْرِي قَالَتْ : يَا بُنَيَّ أَلَا أَرَاكَ حَيًّا بَعْدُ !! فَجَاءَتْ حَتَّى انْكَبَّتْ عَلَيَّ وَضَمَّتْنِي إِلَى صَدْرِهَا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَنِّي لَفِي حِجْرِهَا وَقَدْ ضَمَّتْنِي إِلَيْهَا وَإِنَّ يَدِي فِي يَدِ بَعْضِهِمْ ، فَجَعَلْتُ أَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ يُبْصِرُونَهُمْ فَإِذَا هُمْ لَا يُبْصِرُونَهُمْ .

يَقُولُ بَعْضُ الْقَوْمِ : إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ قَدْ أَصَابَهُ لَمَمٌ أَوْ طَائِفٌ مِنَ الْجِنِّ ، فَانْطَلِقُوا بِهِ إِلَى كَاهِنِنَا حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَيُدَاوِيهِ ، فَقُلْتُ : يَا هَذَا مَا بِي شَيْءٌ مِمَّا تَذْكُرُ ، إِنَّ آرَائِي سَلِيمَةٌ وَفُؤَادِي صَحِيحٌ ، فَقَالَ أَبِي : - وَهُوَ زَوْجُ ظِئْرِي - أَلَا تَرَوْنَ كَلَامَهُ كَلَامًا صَحِيحًا إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ بِابْنِي بَأْسٌ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَذْهَبُوا بِي إِلَى الْكَاهِنِ ، فَاحْتَمَلُونِي حَتَّى ذَهَبُوا بِي إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتِي قَالَ : اسْكُتُوا حَتَّى أَسْمَعَ مِنَ الْغُلَامِ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ مِنْكُمْ .

فَسَأَلَنِي فَاقْتَصَصْتُ عَلَيْهِ أَمْرِي مَا بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ ، فَلَمَّا

سَمِعَ قَوْلِي وَثَبَ إِلَيَّ فَضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَالَلْعَرَبْ يَالَلْعَرَبْ !! اقْتُلُوا هَذَا الْغُلَامَ وَاقْتُلُونِي مَعَهُ فَوَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ تَرَكْتُمُوهُ وَأَدْرَكَ ، لَيُبَدِّلَنَّ دِينَكُمْ ، وَلَيُسَفِّهَنَّ عُقُولَكُمْ وَعُقُولَ آبَائِكُمْ ، وَلَيُخَالِفَنَّ أَمْرَكُمْ ، وَلَيَأْتِيَنَّكُمْ بِدِينٍ لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ قَطُّ .

فَعَمَدَتْ ظِئْرِي فَانْتَزَعَتْنِي مِنْ حِجْرِهِ وَقَالَتْ : لَأَنْتَ أَعْتَهُ وَأَجَنُّ مِنَ ابْنِي هَذَا فَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا يَكُونُ مِنْ قَوْلِكَ مَا أَتَيْتُكَ بِهِ ، فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَنْ يَقْتُلُكَ ، فَأَنَا غَيْرُ قَاتِلِي هَذَا الْغُلَامِ ، ثُمَّ احْتَمَلُونِي فَأَدَّوْنِي إِلَى أَهْلِي ، فَأَصْبَحْتُ مُفْزَعًا مِمَّا فُعِلَ بِي ، وَأَصْبَحَ أَثَرُ الشَّقِّ مَا بَيْنَ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي كَأَنَّهُ الشِّرَاكُ فَذَلِكَ حَقِيقَةُ قَوْلِي وَبَدْءُ شَأْنِي يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ .

فَقَالَ : الْعَامِرِيُّ أَشْهَدُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ أَنَّ أَمْرَكَ حَقٌّ ، فَأَنْبِئْنِي بِأَشْيَاءَ أَسْأَلُكَ عَنْهَا ، قَالَ : سَلْ عَنْكَ ؟ - وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ ذَلِكَ يَقُولُ لِلسَّائِلِ سَلْ عَمَّا شِئْتَ ، وَعَمَّا بَدَا لَكَ ، فَقَالَ لِلْعَامِرِيِّ يَوْمَئِذٍ سَلْ عَنْكَ ، لِأَنَّهَا لُغَةُ بَنِي عَامِرٍ فَكَلَّمَهُ بِمَا عَلِمَ - ، فَقَالَ لَهُ الْعَامِرِيُّ : أَخْبِرْنِي يَا ابْنَ

عَبدِالمُطَّلِب: مَايَزِيدُ فِي الْعِلْمِ؟ قَالَ: التَّعلُّم قَالَ: فَأَخْبِرْنِي: مَايَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السُّؤَالُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مَاذَا يَزِيدُ فِي الشَّرِّ؟ قَالَ: التَّمَادِي، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي: هَلْ يَنْفَعُ الْبِرُّ بَعْدَ الْفُجُورِ؟ قَالَ: نَعَمْ "التَّوْبَةُ تَغْسِلُ الْحَوْبَةَ" وَالْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، أَغَاثَهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ" قَالَ الْعَامِرِيُّ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لَا وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَجْمَعُ لِعَبْدِي أَمْنَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَبَدًا خَوْفَيْنِ، إِنْ هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا، أَمِنَنِي يَوْمَ أَجْمَعُ فِيهِ عِبَادِي عِنْدِي فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ، فَيَدُومُ لَهُ أَمْنُهُ وَلَا أَمْحَقُهُ فِيمَنْ أَمْحَقُ، وَإِنْ هُوَ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا، خَافَنِي يَوْمَ أَجْمَعُ فِيهِ عِبَادِي لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، فَيَدُومُ لَهُ خَوْفُهُ، قَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَخْبِرْنِي إِلَى مَا تَدْعُو؟ قَالَ: أَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تَخْلَعَ الْأَنْدَادَ وَتَكْفُرَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَتُقِرَّ بِمَا جَاءَ مِنَ اللَّهِ مِنْ كِتَابٍ أَوْ رَسُولٍ، وَتُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ بِحَقَائِقِهِنَّ وَتَصُومَ شَهْرًا مِنَ السَّنَةِ، وَتُؤَدِّيَ زَكَاةَ مَالِكَ

يُطَهِّرَكَ اللَّهُ بِهَا وَيُطَيِّبُ لَكَ مَالَكَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِذَا وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْمَوْتِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

قَالَ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَمَالِي ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى). قَالَ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : "هَلْ مَعَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ ؟ فَإِنَّهُ يُعْجِبُنِي الْوَطْأَةُ مِنَ الْعَيْشِ !! قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ النَّصْرُ وَالتَّمَكُّنُ فِي الْبِلَادِ ، قَالَ : فَأَجَابَ وَأَنَابَ.

وَقَدْ أَخْبَرَتِ الْجَوْهَرَةُ الْمَصُونَةُ آمِنَةُ الزُّهْرِيَّةُ ، بِالْبَشَائِرِ الَّتِي كَانَتْ تَتَوَالَى عَلَيْهَا بِحَمْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ . وَهِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ النَّاجِيَاتِ ، إِلَّا أَنَّهُ ثَبَتَ إِسْلَامُهَا بِمَا ثَبَتَ فِي أَخْبَارِ النُّبُوَّاتِ .

قَالَتْ : إِنِّي أُوتِيتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقِيلَ لِي : إِنَّكِ قَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَقَالَتْ مَا شَعَرْتُ بِأَنِّي حَمَلْتُ بِهِ وَلَا وَجَدْتُ لَهُ ثِقَلاً ، وَلَا وَحَماً كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ ، إِلَّا أَنِّي أَنْكَرْتُ رَفْعَ حَيْضَتِي ، وَآتَانِي آتٍ وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمَةِ وَالْيَقِظَةِ ، فَقَالَ : هَلْ شَعَرْتِ بِأَنَّكِ حَمَلْتِ سَيِّدَ الْأَنَامِ ؟ ثُمَّ أَمْهَلَنِي ، حَتَّى إِذَا

دَنَتْ وِلَادَتِي ، أَتَانِي فَقَالَ : قُولِي : أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ ، ثُمَّ سَمِّيهِ مُحَمَّدًا .

الكلام مع أهل اليقين :-

إِنَّ اللهَ تَقَدَّسَتْ ذَاتُهُ ، اقْتَضَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ . أَنْ يَتَجَلَّى ظَاهِرًا بِالتَّنْزِيهِ ، عَلِيًّا مُقَدَّسًا عَنِ التَّشْبِيهِ . فَصَاغَ مِنْ نُورِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي اقْتَضَى كَمَالُهَا الظُّهُورَ ، الْحَقِيقَةَ الْمُصْطَفَوِيَّةَ الَّتِي هِيَ نُورُ النُّورِ . فَكَانَتْ سِدْرَةُ غَشَيَانِ جَمَالِهِ الْعَلِيِّ ، مُوَاجَهَةً أَحَاطَهَا بِضِيَائِهِ الْجَلِيِّ . كَانَتْ جَوْهَرَةُ الْحَضْرَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ مَخْصُوصَةً بِالْأَزَلِيَّةِ ، يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهَا نَظَرَ تَفْرِيدٍ لِتِلْكَ الدُّرَّةِ النُّورَانِيَّةِ . وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ ، وَلَا أَفْلَاكٌ وَلَا أَكْوَانٌ . فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِدْرَةُ مُنْتَهَى عُلُومِ الْخَلَائِقِ ، وَمِنْهُ تَصْدُرُ الْعَوَارِفُ وَالرَّقَائِقُ . ثُمَّ تَنَقَّلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالْبُطُونِ ، إِلَى عَالَمِ الظُّهُورِ وَالشُّئُونِ ، وَأُولُوا الْعَزْمِ عَنْهُ نُوَّابٌ مُبَيِّنُونَ لِنُورِهِ ، حَتَّى أَشْرَقَتْ شَمْسُ ذَاتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ تُنِيرُ الْعَالَمِينَ بِضِيَاءِ عُلُومِهِ ، فَهُوَ الْأَبُ الْأَكْبَرُ لِكُلِّ مَظْهَرٍ ، وَظُهُورٍ مِنْ تِلْكَ الْحَقَائِقِ ، وَهُوَ الْأَوَّلُ

بَدْءًا الْمِمَدُّ بِرُوحِهِ النُّورَانِيَّةِ كُلَّ سَابِقٍ .

أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ قُبَيْلَ التَّجَلِّي سِدْرَةٌ وَوَجِهَتْ مِنَ الْمُتَجَلِّي

كُنْتَ يَاسَيِّدِي وَلِرَبِّكَ عَرْشٌ فَوْقَ مَاءٍ تُضِيءُ نُورُكَ أَصْلِي

لِلْعَلِيِّ الْعَظِيمِ كُنْتَ مُرَادًا فَرْدَ رَبِّي ، وَنُورُ وَجْهِكَ مَجْلِي

نَظْرَةً يَاضِيَاءَ قَلْبِي بِوُدٍّ أَحْيِنِي سَيِّدِي أَدِمْ لِي وَصْلِي

فِي حِمَى طَيْبَةٍ أَعِيشُ مُهَنًّى فِي صَفَاءِ الْوِصَالِ مِنْ غَيْرِ فَصْلِ

قِفْ يَالِسَانَ التَّعْبِيرِ ، فَكَمَالَاتُ هَذَا الدُّرِّيِّ الْمُنِيرِ ، الْمَمْنُوحَةُ مِنَ الْمُعْطِي الْوَهَّابِ فَوْقَ قُوَّةِ التَّصْوِيرِ . إِنَّمَا أُبَيِّنُ عَلَى قَدْرِي ، إِذَا شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي . وَمَاذَا أَقُولُ فِيمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَوَاثَقَ لَهُ فِي الْبَدْءِ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ ، وَوَصَفَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ ، وَأَقْسَمَ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ . وَأَقَامَهُ مَقَامَ نَفْسِهِ الْعَلِيَّةِ ، فِي الْبَيْعَةِ الْكُبْرَى الرِّضْوَانِيَّةِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) وَقَالَ تَعَالَى : (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) ، فَطُوبَى لِمَنْ فَقِهَ الْخِطَابَ وَوَعَاهُ .

عَلَى قَدْرِي أَصُوغُ لَكَ الْمَدِيحَا وَمَنْحُكَ صَاغَهُ رَبِّي صَرِيحَا

وَمَنْ أَنَا يَا إِمَامَ الرُّسْلِ حَتَّى ... أُوَفِّ قَدْرَكَ السَّامِى شُرُوحَا

وَلَكِنِّى أُحِبُّكَ مِلْءَ قَلْبِى ... فَأَسْعِدْ بِالْوِصَالِ فَتًى جَرِيحَا

وَدَاوِ بِالْوِصَالِ فَتًى مُعَنًّى ... يَرُومُ الْقُرْبَ مِنْكَ لِيَسْتَرِيحَا

فَمُوسَى رُدَّ بَعْدَ سُؤَالِ رَبِّى ... وَأَنْتَ رَأَيْتَهُ كَشْفًا صَحِيحَا

أَلَمْ نَشْرَحْ ، وَرَبِّ اشْرَحْ ، بَيَانٌ ... لِقَدْرِكَ سَيِّدِى أَضْحَى مُبِيحَا

* * *

الباب الثاني

في الميلاد والرضاع

الفصل الأول

مولده الشريف صلى الله عليه وسلم

أَظْهَرَ اللّٰهُ تَعَالَى فِي زَمَانِ حَمْلِهِ وَوِلَادَتِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَائِبَ الشُّئُونِ، حَتَّى انْكَشَفَ لِلْعَالَمِ أَجْمَعَ سِرُّ الْغَيْبِ الْمَصُونِ، وَغَيْبُ مَا فِي الْكَنْزِ الْمَكْنُونِ. حَتَّى تَجَلَّتْ تِلْكَ الْأَسْرَارُ لِأَهْلِ الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ، بِمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْآثَارِ فِي الْأَنْبَاءِ الرَّبَّانِيَّةِ. وَانْكَشَفَ لِلْكُهَّانِ بِتَغَيُّرِ الْأَفْلَاكِ فِي الظُّهُورِ وَالدَّوَرَانِ، حَتَّى تَحَقَّقُوا قُرْبَ ظُهُورِهِ بِسَاطِعِ الْبُرْهَانِ. وَانْتَشَرَ بَيْنَ عَالَمِ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ قُرْبُ إِشْرَاقِ شَمْسِ الْحَقِّ بِالتَّحْقِيقِ وَالثُّبُوتِ. لِأَنَّ الْكَوْنَ عَالِيهِ وَدَانِيهِ، جِسْمٌ وَهُوَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّوحُ الَّتِي ظَهَرَتْ فِيهِ. سَرَتْ تِلْكَ الرُّوحُ فِي هَيَاكِلِ الْمَلَائِكَةِ الْحَامِلِينَ لِعَرْشِ الرَّحْمَٰنْ، فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَاسْتَغْفَرُوا لِأَهْلِ الْإِيمَانْ. سَرَتْ فِي الْمَلَائِكَةِ عُمَّارِ مَلَكُوتِ اللّٰهِ، فَأَقَامَهُمُ اللّٰهُ أَنْصَارًا لَهُ سُبْحَانَهُ وَقُوَّةً لِمَنْ وَالَاهْ. أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ بِأَنْوَارِهَا عَلَى أَفْلَاكِ السَّمٰوَاتِ، وَسَطَعَتْ أَنْوَارُ

الْكَوَاكِبِ عَلَى مَنْ جَمَّلَهُمُ اللَّهُ بِالتَّوْحِيدِ وَجَذَبَهُمْ إِلَيْهِ بِالْقُرُبَاتِ. سَرَتْ تِلْكَ الرُّوحُ فِيمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْكَائِنَاتِ بِأَنْوَارِ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ. فَتَحَقَّقُوا بِالْيَقِينِ الْحَقِّ وَفَازُوا بِالْقَبُولِ وَالنِّعَمِ فَمَا مِنْ كَائِنٍ فِي مُلْكِ اللَّهِ وَمَلَكُوتِهِ مِنَ الْعَالَمِينْ، إِلَّا وَسَعِدَ بِهَذَا الْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ فِي الْخَافِقَيْنْ. وَكَيْفَ لَا تَتَوَالَى الْبَشَائِرُ وَالْأَفْرَاحُ بِطَلْعَةِ حَبِيبِ الْمُنْعِمِ الْفَتَّاحِ.

وَلَمَّا أَنْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَجَلَّى بِالرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، وَأَنْ يَظْهَرَ جَلِيًّا سُبْحَانَهُ بِالْمُنْعِمِ الْحَنَّانِ الْمَنَّانِ. أَكْمَلَ سُبْحَانَهُ أَيَّامَ حَمْلِهِ حَتَّى آنَ لِلْعَالَمِ أَجْمَعَ أَنْ يَفُوزَ بِأَمَلِهِ. وَكَانَتْ أُمُّهُ الطَّاهِرَةُ الصَّفِيَّةُ، لَا تُحِسُّ بِأَلَمِ الْحَمْلِ وَلَا تَشْعُرُ بِقُرْبِ الْوَضْعِ بِخِلَافِ الْعَادَةِ الْمَرْعِيَّةِ، حَتَّى حَانَ أَنْ تَشْرُقَ تِلْكَ الشَّمْسُ جَلِيَّةً، وَتَشْهَدَ لِلْعُقُولِ وَالْأَجْسَامِ عَلِيَّةً، شَعُرَتْ قَبْلَ طُلُوعِ فَجْرِ لَيْلَةِ الْإِثْنَيْنِ ثَانِيَةَ عَشْرَةَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ عَلَى أَرْجَحِ الْأَقْوَالِ الْمَرْوِيَّةِ. وَهِيَ مُنْفَرِدَةٌ كَعَادَتِهَا، لَيْسَ مَعَهَا مَنْ يُعِينُهَا فِي حُجْرَتِهَا. إِلَّا أَنَّ مَا تَوَالَى عَلَيْهَا مِنَ الْبَشَائِرِ وَالْهَوَاتِفِ وَالرُّؤْيَا الْمَنَامِيَّةِ، جَعَلَهَا

مُنْشَرِحَةَ الصَّدْرِ بِمَعُونَةِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ .

وَبَيْنَمَا هِيَ بَيْنَ وَحْشَةِ الْوَحْدَةِ وَالْأَلَمِ، وَالْأُنْسِ بِمَا شَهِدَتْهُ إِذْ رُفِعَ لَهَا عَلَمٌ عَمَّ الْخَافِقَيْنِ ضِيَاؤُهُ ، وَأَدْهَشَ عَقْلَهَا بَهَاؤُهُ . وَإِذَا بِطُيُورٍ سَدَّتِ الْآفَاقَ ، تُرَفْرِفُ بِأَجْنِحَتِهَا مُسَبِّحَةً لِلْخَلَّاقِ . فَنَظَرَتْ فَرَأَتْ نِسْوَةً أَحَطْنَ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَظَنَّتْهُنَّ مِنَ الْجِيرَانِ وَالْأَقَارِبِ . وَقُلْنَ لَهَا نَحْنُ آسِيَةُ وَمَرْيَمُ إِبْنَةُ عِمْرَانَ ، وَمَعَنَا الْحُورُ الْعِينُ لِلتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ .

وَمَعَ هَذَا التَّثْبِيتِ الرُّوحَانِيِّ قَالَتْ آمِنَةُ -مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ :(لَمَّا أَنْ أَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ النِّسَاءَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِي أَحَدٌ لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى ، وَإِنِّي لَوَحِيدَةٌ فِي الْمَنْزِلِ ، وَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي طَوَافِهِ ، فَسَمِعْتُ وَجْبَةً عَظِيمَةً وَأَمْرًا عَظِيمًا أَهَالَنِي ، ثُمَّ رَأَيْتُ كَأَنَّ طَائِرًا أَبْيَضَ قَدْ مَسَحَ عَلَى فُؤَادِي فَذَهَبَ عَنِّي الرُّعْبُ وَكُلُّ وَجَعٍ أَجِدُهُ ، ثُمَّ الْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِشَرْبَةٍ بَيْضَاءَ فَتَنَاوَلْتُهَا فَأَصَابَنِي نُورٌ عَالٍ ، ثُمَّ أُرِيتُ نِسْوَةً كَالنَّخْلِ طِوَالًا ، كَأَنَّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ مَنَافٍ يُحْدِقْنَ بِي ، فَبَيْنَا أَنَا أَتَعَجَّبُ وَأَنَا أَقُولُ وَاغَوْثَاهُ مِنْ أَيْنَ عَلِمْنَ ، وَاشْتَدَّ بِيَ الْأَمْرُ وَأَنَا أَسْمَعُ الْوَجْبَةَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ أَعْظَمَ وَأَهْوَلَ مِمَّا تَقَدَّمَ .

فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ ، إِذَا بِدِيبَاجٍ أَبْيَضَ قَدْ سَدَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ : خُذَاهُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ، قَالَتْ وَرَأَيْتُ رِجَالاً قَدْ وَقَفُوا فِي الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيقُ مِنْ فِضَّةٍ ، ثُمَّ نَظَرْتُ ، فَإِذَا بِقِطْعَةٍ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ أَقْبَلَتْ حَتَّى غَطَّتْ حُجْرَتِي ، مَنَاقِيرُهَا مِنَ الزُّمُرُّدِ ، وَأَجْنِحَتُهَا مِنَ الْيَاقُوتِ ، فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصَرِي ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، فَرَأَيْتُ ثَلَاثَةَ أَعْلَامٍ مَضْرُوبَاتٍ ، عَلَماً بِالْمَشْرِقِ وَعَلَماً بِالْمَغْرِبِ وَعَلَماً عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، فَأَخَذَنِي الْمَخَاضُ فَوَضَعْتُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

وَهُنَا أَحَبَّ الْأَئِمَّةُ الْقِيَامَ تَعْظِيماً لِقَدْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :-

مَرْحَباً بِالْحَبِيبِ خَيْرِ الْأَنَامِ	مَنْ أَتَانَا بِالنُّورِ وَالْإِسْلَامِ
مَرْحَباً سَيِّدِي وَأَهْلاً وَسَهْلاً	أَنْتَ نُورُ الرَّحْمَٰنِ وَالْعَلَّامِ
مَرْحَباً بِالْحَبِيبِ أَقْبَلْتَ بُشْرَى	بِالْمَعَالِي وَنَيْلِ دَارِ السَّلَامِ
جِئْتَ يَا سَيِّدِي مَحَوْتَ ضَلَالاً	بِالضِّيَاءِ الْعَلِيِّ بَعْدَ الظَّلَامِ
أَنْتَ خَيْرٌ لَنَا مِنَ الرُّوحِ حَقّاً	مِنْكَ نِلْنَا بِالْفَضْلِ أَعْلَى مَقَامِ
أَشْرَقَتْ شَمْسُكَ الْعَلِيَّةُ صُبْحاً	فِي رَبِيعٍ بِالْخَيْرِ وَالْإِكْرَامِ

نُورُهَا يَجْذِبُ الْقُلُوبَ وَيَهْدِي　　　قَدْ شَرِبْنَا بِهِ طَهُورَ الْمُدَامِ

قَدْ سَعِدْنَا وَقَدْ شَهِدْنَا جَمَالاً　　　فِي رَبِيعٍ بَدَا لَنَا فِي ابْتِسَامِ

أَبْشِرِي أُمَّةَ النَّبِيِّ بِخَيْرٍ　　　فَهُوَ حَقًّا شَفِيعُنَا فِي الزِّحَامِ

كُلُّ رُوحٍ تَرَى جَمَالَ حَبِيبِي　　　لَيْلَةَ الْوَضْعِ لَا بِرُؤْيَا الْمَنَامِ

مَوْلِدُ الْمُصْطَفَى لِرُوحِي ذِكْرَى　　　شَاهَدَتْهُ فِيهِ بِغَيْرِ لِثَامِ

مَوْلِدُ الْمُصْطَفَى حَيَاةُ قُلُوبٍ　　　شَوْقُهَا قَدْ نَمَا بِدَاعِي الْغَرَامِ

صَلِّ رَبِّي عَلَى الْحَبِيبِ التِّهَامِي　　　مَنْ تَرَاهُ أَرْوَاحُنَا فِي الْهِيَامِ

وَهُنَا يَحْسُنُ أَنْ نَبْتَهِلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مُتَوَسِّلِينَ ، بِجَاهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاعِينَ قَائِلِينَ : (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَفَضَّلْتَ عَلَيْنَا بِأَنْ جَعَلْتَنَا أُمَّةَ حَبِيبِكَ وَمُصْطَفَاكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَثْنَيْتَ عَلَيْنَا فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بِقَوْلِكَ «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» وَقَوْلِكَ : « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا » ، فَنَبْتَهِلُ إِلَيْكَ يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ ، أَنْ تُعِينَنَا عَلَى شُكْرِ نِعْمَتِكَ الْعُظْمَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِتَوْفِيقِنَا لِمَحَابِّكَ وَمَرَاضِيكَ ، وَإِقَامَتِنَا لَكَ مَقَامَ الْعُمَّالِ الْمُخْلِصِينَ ، وَالْأَنْصَارِ لِدِينِكَ الْمَقْبُولِينَ ، وَهَبْ لَنَا قُوَّةً فِي دِينِنَا ، وَتَمْكِينًا بِالْحَقِّ ، وَمَكِّنْ لَنَا فِي الْأَرْضِ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْفِتَنِ الْمُضِلَّةِ ،

وَجدِّدْ بِنَا هَذَا النُّورَ المُحَمَّدِيَّ ، وَاشْفِنَا وَابْسُطْ لَنَا أَرْزَاقَنَا وَنَجِّنَا يَا إِلَهَنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ هَوْلٍ وَكَرْبٍ ، وَفِي الآخِرَةِ مِنْ هَوْلِ الحِسَابِ ، لِنَكُونَ مِنَ السَّابِقِينَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ الحُسْنَى يَا رَبَّ العَالَمِينَ) .

قَالَتْ آمِنَةُ : (ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ ، ثُمَّ رَأَيْتُ سَحَابَةً بَيْضَاءَ ، أَقْبَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى غَشِيَتْهُ فَغَيَّبَتْهُ عَنِّي ، فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي طُوفُوا بِهِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَأَدْخِلُوهُ البِحَارَ ، لِيَعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ وَنَعْتِهِ وَصُورَتِهِ ، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ سُمِّيَ فِيهَا المَاحِي ، وَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ إِلَّا مُحِيَ فِي زَمَنِهِ ثُمَّ تَجَلَّتْ عَنْهُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ ... الحَدِيثُ) .

وَبِسَنَدِ الخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ قَالَ قَالَتْ آمِنَةُ :

(لَمَّا وَضَعْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، رَأَيْتُ سَحَابَةً عَظِيمَةً لَهَا نُورٌ ، أَسْمَعُ فِيهَا صَهِيلَ الخَيْلِ ، وَخَفَقَانَ الأَجْنِحَةِ ، وَكَلَامَ الرِّجَالِ حَتَّى غَشِيَتْهُ وَغُيِّبَ عَنِّي فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي «طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمِيعَ الأَرْضِ ، وَاعْرِضُوهُ عَلَى كُلِّ رُوحَانِيٍّ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالمَلَائِكَةِ وَالطُّيُورِ وَالوُحُوشِ ، وَأَعْطُوهُ خَلْقَ آدَمَ ، وَمَعْرِفَةَ شِيثٍ ، وَشَجَاعَةَ نُوحٍ ، وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ، وَلِسَانَ إِسْمَاعِيلَ ، وَرِضَا إِسْحَاقَ ،

وَفَصَاحَةَ صَالِحٍ ، وَحِكْمَةَ لُوطٍ ، وَبُشْرَى يَعْقُوبَ ، وَشِدَّةَ مُوسَى ، وَصَبْرَ أَيُّوبَ ، وَطَاعَةَ يُونُسَ ، وَجِهَادَ يُوشَعَ ، وَصَوْتَ دَاوُدَ ، وَحُبَّ دَانِيَالَ ، وَوَقَارَ إِلْيَاسَ ، وَعِصْمَةَ يَحْيَى ، وَزُهْدَ عِيسَى ، وَاغْمِسُوهُ فِي أَخْلَاقِ النَّبِيِّينَ » قَالَتْ : ثُمَّ انْجَلَتْ عَنِّي فَإِذَا بِهِ قَدْ قَبَضَ عَلَى حَرِيرَةٍ خَضْرَاءَ مَطْوِيَّةٍ طَيًّا شَدِيدًا يَنْبُعُ مِنْ تِلْكَ الْحَرِيرَةِ مَاءٌ . وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ : « بَخٍ بَخٍ !! قَبَضَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا لَمْ يَبْقَ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا دَخَلَ طَائِعًا فِي قَبْضَتِهِ » قَالَتْ : ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا بِهِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَرِيحُهُ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ الْأَذْفَرِ وَإِذَا بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ فِي يَدِ أَحَدِهِمْ إِبْرِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَفِي يَدِ الثَّانِي طَسْتٌ مِنْ زُمُرُّدٍ أَخْضَرَ وَفِي يَدِ الثَّالِثِ حَرِيرَةٌ بَيْضَاءُ ، فَنَشَرَهَا فَأَخْرَجَ مِنْهَا خَاتَمًا تَحَارُ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ دُونَهُ ، فَغَسَلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِبْرِيقِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ خَتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِالْخَاتَمِ ، وَلَفَّهُ فِي الْحَرِيرَةِ ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَأَدْخَلَهُ بَيْنَ أَجْنِحَتِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ

* * *

الفصل الثاني
الرضاع

مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ الرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ لِلْعَالَمِينَ، مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جِنٍّ وَمَلَائِكَةٍ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ. فَهُوَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ الْمُفَاضَةِ مِنْ حَضْرَةِ الإِحْسَانِ، الَّتِي وَسِعَ اللهُ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ بِالْفَضْلِ وَالْحَنَانِ. سَعِدَ وَاللهِ مَنْ مَسَّ جِسْمَهُ الشَّرِيفَ أَوْ رَآهُ بِمَعْنَاهُ، أَوْ أَحَبَّهُ وَفَرِحَ بِهِ وَوَلَاهُ.

فَسَعِدَتْ وَاللهِ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَرْضَعَتْ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، وَخُفِّفَ الْعَذَابُ عَنْ أَبِي لَهَبٍ لَيْلَةَ الاثْنَيْنِ لِأَنَّهُ أَعْتَقَ ثُوَيْبَةَ مَوْلَاتَهُ عِنْدَمَا بَشَّرَتْهُ بِمَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ فَنَمَتْ مَسَرَّاتُهُ، أَرْضَعَتْهُ ثُوَيْبَةُ بَعْدَ وَضْعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَهِدَتْ مَا عَجَزَتْ عَنْ بَيَانِهِ فَبُشْرَى لَهَا سَعِدَتْ مِنَ اللهِ بِحَنَانِهِ.

وَأَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ بَعْدَ أَنْ أَبَاهُ النِّسَاءُ لِيُتْمِهِ، فَفَازَتْ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِبِرِّهِ وَكَرَمِهِ.

قَالَتْ حَلِيمَةُ:

(قَدِمْتُ مَكَّةَ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ فَقَدِمْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي وَمَعِي صَبِيٌّ لَنَا وَشَارِفٌ لَنَا، وَاللَّهِ مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا، ذَلِكَ أَجْمَعُ مَعَ صَبِيِّنَا ذَاكَ، لَا يَجِدُ فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ، وَلَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغَذِّيهِ، فَقَدِمْنَا مَكَّةَ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنَّا امْرَأَةً إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَأْبَاهُ إِذَا قِيلَ يَتِيمٌ، فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ صَوَاحِبِي امْرَأَةٌ إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي، فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ، قُلْتُ لِزَوْجِي: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي لَيْسَ مَعِي رَضِيعٌ، لَأَنْطَلِقَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنَّهُ، فَذَهَبْتُ فَإِذَا بِهِ مُدْرَجٌ فِي ثَوْبِ صُوفٍ أَبْيَضَ مِنَ اللَّبَنِ، يَفُوحُ مِنْهُ الْمِسْكُ، وَتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ، رَاقِدًا عَلَى قَفَاهُ يَغُطُّ، فَأَشْفَقْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ لِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ رُوَيْدًا، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى صَدْرِهِ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ إِلَيَّ، فَخَرَجَ مِنْ عَيْنَيْهِ نُورٌ حَتَّى دَخَلَ خِلَالَ السَّمَاءِ، وَأَنَا أَنْظُرُ، فَقَبَّلْتُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَأَعْطَيْتُهُ ثَدْيِيَ الْأَيْمَنَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَحَوَّلْتُهُ إِلَى الْأَيْسَرِ فَأَبَى، وَكَانَتْ تِلْكَ حَالَهُ بَعْدُ - قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

أَنّ لَهُ شَرِيكًا فَأَلْهَمَهُ الْعَدْلَ - قَالَتْ فَرَوِيَ وَرَوِيَ أَخُوهُ ثُمَّ أَخَذْتُهُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جِئْتُ بِهِ رَحْلِي ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ ، وَشَرِبَ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ فَقَامَ صَاحِبِي - تَعْنِي زَوْجَهَا - إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ ، فَإِذَا إِنَّهَا لَحَافِلٌ فَحَلَبَ مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوِينَا ، وَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ .

فَقَالَ صَاحِبِي : يَا حَلِيمَةُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكِ قَدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً ، أَلَمْ تَرَيْ مَا بِتْنَا بِهِ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ حِينَ أَخَذْنَاهُ فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَزِدْنَا خَيْرًا ؟ قَالَتْ حَلِيمَةُ : فَوَدَّعَتِ النِّسَاءُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا ، وَوَدَّعْتُ أَنَا أُمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ رَكِبْتُ أَتَانِي ، وَأَخَذْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيَّ ، قَالَتْ : فَنَظَرْتُ إِلَى الْأَتَانِ ، وَقَدْ سَجَدَتْ نَحْوَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثَ سَجَدَاتٍ ، وَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ مَشَتْ حَتَّى سَبَقَتْ دَوَابَّ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي ، وَصَارَ النَّاسُ يَتَعَجَّبُونَ مِنِّي وَالنِّسَاءُ يَقُلْنَ لِي وَهُنَّ وَرَائِي : يَا بِنْتَ أَبِي ذُؤَيْبٍ : أَهَذِهِ أَتَانُكِ الَّتِي كُنْتِ عَلَيْهَا وَأَنْتِ جَائِيَةٌ مَعَنَا ، تَخْفِضُكِ طَوْرًا وَتَرْفَعُكِ أُخْرَى ؟ فَأَقُولُ : تَاللَّهِ إِنَّهَا هِيَ !! فَيَتَعَجَّبْنَ مِنْهَا وَيَقُلْنَ : إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا عَظِيمًا !!

قَالَتْ فَكُنْتُ أَسْمَعُ أَتَانِي تَنْطِقُ وَتَقُولُ : وَاللَّهِ إِنَّ لِي لَشَأْنًا ثُمَّ شَأْنًا ، بَعَثَنِي اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِي ، وَرَدَّ لِي سِمَنِي بَعْدَ هُزَالِي ، وَيْحَكُنَّ يَانِسَاءَ بَنِي سَعْدٍ ، إِنَّكُنَّ لَفِي غَفْلَةٍ !! وَهَلْ تَدْرِينَ مَنْ عَلَى ظَهْرِي ؟! عَلَى ظَهْرِي خِيَارُ النَّبِيِّينَ ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، وَخَيْرُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينْ ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينْ .

قَالَتْ حَلِيمَةُ : فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ : ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَ بَنِي سَعْدٍ ، وَلَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبُ مِنْهَا ، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَى حِينِ قَدِمْنَا بِهِ شِبَاعًا لَبَنًا ، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ ، وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ ، حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعَاتِهِمْ : اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي غَنَمِ بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ ، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ ، وَتَرُوحُ أَغْنَامِي شِبَاعًا لَبَنًا .

وَفِي بَيَانِ هَذِهِ الْمَعَانِي يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ :-

وَافَى رَبِيعٌ لَنَا بِالْخَيْرِ وَالْبُشْرَى ... فِيهِ لَقَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْهُدَى الْكُبْرَى

فِيهِ لَقَدْ وُلِدَ الْمُخْتَارُ وَاتَّضَحَتْ ... آيُ الْهُدَى وَالتَّهَانِي فِيهِ قَدْ تَتْرَى

قَبْلَ الْوِلَادَةِ أَمْلَاكُ السَّمَا نَزَلَتْ ... وَالنُّورُ يُشْرِقُ دَوْمًا لَيْلَةَ الذِّكْرَى

وَالْبَيْتُ ظُلِّلَ بِالْأَمْلَاكِ يَقْدُمُهُمْ ... نُورٌ مِنَ اللَّهِ مَنْ بِحَبِيبِهِ أَسْرَى

أَبْرَزْتَ شَمْسًا تُضِيءُ الْكَوْنَ أَجْمَعَهُ ... حَتَّى رَأَتْ أُمُّهُ مِنْ نُورِهِ بُصْرَى

خَرَّتْ عَلَى رَأْسِهَا الْأَصْنَامُ خَاسِئَةً ... بَلْ أُخْمِدَتْ نَارُ إِضْلَالٍ لَدَى كِسْرَى

وَالْجِنُّ قَدْ دُحِرُوا بِالرَّجْمِ وَانْدَحَرُوا ... لَمْ يَسْمَعُوا أَبَدًا شِعْرًا وَلَا نَثْرًا

غَاضَتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِيَّا بِمَوْلِدِهِ ... فَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوِي الْمَاءُ ثُمَّ جَرَى

عَنْ أَعْيُنِ الْخَلْقِ فِي الْمَلَكُوتِ غَيَّبَهُ ... جِبْرِيلُ لَمَّا بِهِ لِلْعَالَمِينَ سَرَى

أَوْمَا إِلَى الْقُدْسِ الْأَعْلَى بِأُصْبُعِهِ ... رَمْزًا إِلَى أَنَّهُ فَضْلًا سَمَا قَدْرَا

قَدْ جَمَّلَ الْمُلْكَ وَالْمَلَكُوتَ مَوْلِدُهُ ... أَصْلُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَى

فِي بَيْتِ آمِنَةَ الْعَصْمَاءِ يَخْدُمُهَا ... حُورُ الْجِنَانِ تُوَالِيهَا وَلَا فَخْرَا

بَلْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانٍ وَآسِيَةٌ ... قَدْ يَخْدُمَانِ وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْعَذْرَا

لَا تَعْجَبُوا فَهُوَ خَيْرُ الرُّسْلِ قَاطِبَةً ... وَهُوَ الشَّفِيعُ وَفَضْلُ اللَّهِ وَالْبُشْرَى

وَالْبَدْرُ شُقَّ لَهُ وَالضَّبُّ خَاطَبَهُ ... وَالْمَاءُ يَجْرِي بِكَفِّ الْمُصْطَفَى نَهْرَا

وَالْجِذْعُ حَنَّ لَهُ كَيْمَا يُلَامِسَهُ ... وَالْعَيْنُ رُدَّتْ وَفَضْلُ اللَّهِ قَدْ أَجْرَى

وَالرَّمْلُ سَبَّحَ يُنْبِئُنَا بِأَنَّ لَهُ ... قَدْرًا عَظِيمًا بِهَذَا الْعَقْلُ لَا يَدْرِي

نُطْقُ الذِّرَاعِ وَتَسْلِيمُ النَّبَاتِ ضِيَا يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ قَدْ يَسْمَعُ الذِّكْرَا

فِي كُلِّ سِفْرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ آيَتُهُ تُتْلَى مِنَ الْأَنْبِيَا وَلَنَا لَقَدْ تُقْرَا

قَدْ أَعْجَزَتْ آيَةُ الْأَلْبَابِ كَثْرَتُهَا لَمْ تُحْصَ عَدًّا وَتِلْكَ الْآيُ تُسْتَقْرَى

فَازَتْ حَلِيمَةُ بَلْ سَعِدَتْ بِطَلْعَتِهِ قَبْلَ الرَّضَاعِ لَقَدْ ذَابَتْ ضَنًى فَقْرًا

تَأْبَاهُ يُتْمًا لَهُ لَمْ تَدْرِ قِيمَتَهُ حَتَّى لَقَدْ شَهِدَتْ آيَاتِهِ تَتْرَى

دَرَّتْ شِيَاهُ فَتَاةِ الْحَيِّ وَاتَّسَعَتْ أَرْزَاقُهَا نَالَتِ الْخَيْرَاتِ وَالْيُسْرَا

حَتَّى لَقَدْ حُسِدَتْ مِنْ قَوْمِهَا فَسَمَتْ حَتَّى مَحَا الْمُصْطَفَى عَنْ ظِئْرِهِ الْعُسْرَا

وَيْ يَا حَلِيمَةُ !! نِلْتِ الْخَيْرَ أَجْمَعَهُ أَصْبَحْتِ لِلْمُصْطَفَى الْهَادِي نِعْمَ ظِئْرَا

* * *

الباب الثالث

فضله صلى الله عليه وسلم على موسى وسائر الرسل الكرام

الفصل الأول

فضله صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام

يَعْجِزُ الْعَقْلُ عَنِ الْحَيْطَةِ بِقَدْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ حَصْرِ مَزَايَاهُ. وَيَقِفُ لِسَانُ الْعِبَارَةِ عَنْ أَنْ يَقْتَدِرَ عَلَى بَيَانِ مَا خَصَّهُ بِهِ اللَّهُ، بَلْ وَقَدْ تَقِفُ عَنْ تَوْضِيحِ هَذَا الْغَيْبِ الْإِشَارَةُ، فَكَيْفَ تُوَضِّحُهُ الْعِبَارَةُ.

مَقَامُكَ فَوْقَ قَدْرِ الرُّسْلِ طُرًّا ... رُفِعْتَ عَلَيْهِمُو مَوْلَايَ قَدْرًا

وَأَنْتَ وَلِيُّهُمْ بَدْءًا وَخَتْمًا ... وَأَنْتَ إِمَامُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا

وَمِنْ نُورِ الْعِنَايَةِ صِغْتَ بَدْءًا ... تُضِيءُ وَكُنْتَ فِي الْمَلَكُوتِ بَدْرًا

أَكْتُبُ عَلَى قَدْرِ مَا فَهِمْتُ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَمَا ذُقْتُ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ. وَلَكِنْ لِأَهْلِ التَّسْلِيمِ وَالذَّوْقِ، مِمَّنْ جُذِبُوا إِلَى اللَّهِ بِجَوَاذِبِ الشَّوْقِ. وَهُنَا تَحْلُوا لِلسَّامِعِينَ الْعِبَارَةُ، قَبْلَ أَنْ يُدَارَ رَاحُ الْإِشَارَةِ.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْبُوبُ اللَّهِ وَمُصْطَفَاهُ،

وَسَيِّدُنَا مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ وَمُجْتَبَاهُ .

- قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي » . سَائِلاً مَوْلَاهُ ، وَقَالَ لِمَحْبُوبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » . شَرَفاً لِقَدْرِهِ وَعُلَاهُ .

- وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي » لِيُعِينَهُ عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ لِمَحْبُوبِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » تَبْيَاناً لِأَنَّهُ تَوَلَّاهُ ، فَقَرَنَهُ سُبْحَانَهُ بِهِ فِي الشَّهَادَةِ وَالْآذَانِ . فَلَمْ يُوَازِرْهُ بِغَيْرِهِ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ ، وَالْوَزِيرُ فِي اللُّغَةِ الْقَرِينُ وَالظَّهِيرُ مِنَ الْأَهْلِ وَالْحَبِيبِ ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ أَنْتَ مِنْ أَهْلِي فَقَدْ وَزَرْتُكَ وَقَرَنْتُكَ بِذِكْرِي وَبِكَ إِلَى التَّقْرِيبِ ، فَأَنَا ظَهِيرُكَ وَمُعِينُكَ لَا أَشُدُّ أَزْرَكَ بِغَيْرِي مِنْ مُعِينٍ وَمُنِيبٍ .

- وَعَنِ الْإِمَامِ اللَّيْثِ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) ، قَالَ : يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ تَعْظِيماً لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفْرِيداً ، فَكَانَ الْعَرْشُ مَكَانَ اسْتِوَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ بِمَشِيئَتِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ بِقُدْرَتِهِ فِي الْأَرْضِ فَوَهَبَهُ لِحَبِيبِهِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ، بَيَانًا لِقَدْرِهِ وَتَعْرِيفًا، فَأَجْلَسَهُ عَلَيْهِ تَفْضِيلاً لَهُ وَتَشْرِيفًا، لِيَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ الْمُرْسَلِينَ فِي الْجَلاَلَةِ، كَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا آخِرَهُمْ فِي الرِّسَالَةِ.

- قَالَ سُبْحَانَهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَعْدَ تَمْكِينِهِ فِي الْمَقَامِ : (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى، وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى). فَجَعَلَ عَطَاءَهُ مَحْدُودًا بِتِلْكَ الْبُشْرَى، وَقَالَ لِحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، بَعْدَ أَنْ رَفَعَهُ إِلَيْهِ فَتَجَاوَزَ كُلَّ مَقَامٍ. (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً). فَسُبْحَانَ مَنْ دَنَا فَتَدَلَّى لِحَبِيبِهِ قُرْبًا وَكَرَماً، فَلاَ تَعْلَمُ الْعُقُولُ وَلاَ الأَرْوَاحُ، مَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَى حَبِيبِهِ الْكَرِيمُ الْفَتَّاحُ.

- وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ)، أَىْ فِي مَحَلِّ الْعُبُودِيَّةِ وَالإِقْبَالِ عَلَيْكَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ (لَنْ تَرَانِي)، لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَصَّهُ بِالْكَلاَمِ وَإِدْرَاكِ الْمَعَانِي، وَقَالَ لِحَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)، (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)، فَرَأَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ فِي حَضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَلِكَلاَمِهِ سُبْحَانَهُ صَغَى فَبَيْنَ الْمُحِبِّ وَالْمَحْبُوبِ

فِي الْمَقَامَاتِ وَالتَّقْلِيبِ . كَمَا بَيْنَ حَبِيبِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُحِبِّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّقْرِيبِ ، وَهُنَا تَخْلُوا الْإِشَارَةُ عَنِ الْمَقَامِينِ ، لِيَتَّضِحَ مَقَامُ مَنْ سَمِعَ وَمَنْ شَهِدَ الْعَيْنَ بِالْعِينِ. كَمْ بَيْنَ مَنْ رَأَى مَا رَأَى عِنْدَ نَفْسِهِ فِي مَكَانِهِ فَوْقَ الْجَبَلِ ، وَبَيْنَ مَنْ رَأَى رَبَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ فِي عُلُوِّهِ وَبِهِ إِلَيْهِ وَصَلْ . كَمْ بَيْنَ مَنِ اشْتَاقَ إِلَى اللَّهِ فَعَجَّلَ إِلَيْهِ شَوْقًا مِنْهُ لِيَرْضَى عَنْهُ ، وَبَيْنَ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ فَعَجَّلَ بِهِ شَوْقًا إِلَيْهِ لِيُرْضِيَهُ وَيُقَرِّبَهُ مِنْهُ ، حُبًّا فِيهِ وَرِضَاءً عَنْهُ. كَمْ بَيْنَ مَنْ رَأَى أَنْوَارَ التَّجَلِّيَاتِ عَلَى قَدْرِ الْجَبَلِ ، فَلَمْ يَثْبُتْ لَهَا وَهُوَ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ ، فَفَاضَتْ عَلَيْهِ الْأَنْوَارُ لِضِيقِهِ فَصُعِقَ وَدُكَّ الْجَبَلُ ، وَبَيْنَ مَنْ دَنَى لَهُ فَتَدَلَّى وَرَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ فَثَبَتَ وَغَاضَتْ فِيهِ الْأَنْوَارُ لِسَعَتِهِ وَبِهِ اتَّصَلَ ، تَجَاوَزَ الْمَحْبُوبُ فِي الْقُرْبِ مَقَامَ الْمُحِبِّ تَمْكِينًا ـ كَمَا جَاوَزَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مَقَامَ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ قُرْبًا وَتَعْيِينًا .

ـ أَدْخَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَى لَامَ الْمُلْكِ ، وَأَقَامَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامَهُ فِي الْمُلْكِ ، قَالَ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَاصْطَنَعْتُكَ

لِنفْسِي) ، وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) فَشَتَّانَ بَيْنَ مَنِ اصْطَنَعَهُ لِنَفْسِهِ وَبَيْنَ مَنْ أَقَامَهُ مَقَامَ نَفْسِهِ تَفَضُّلاً وَتَعْظِيماً .

- شَتَّانَ بَيْنَ مَنْ فَصَلَ مَدْحَهُ مِنْ وَصْفِهِ ، وَبَيْنَ مَنْ وَصَلَ مَدْحَهُ بِوَصْفِهِ إِعْلاءً وَتَكْرِيماً ، فَقَالَ تَعَالَى فِي الْفَصْلِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي الْوَصْلِ لِحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) فَأَثْبَتَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَثِيلٌ . وَقَالَ جَلَّ جَلالَهُ : (فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) ، فَهَذَا حُجَّةٌ عَلَى مَقَامِهِ الأَمِينِ ، وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى : (يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) ، أَيْ خُذْ مَا آتَيْتُكَ مِنَ الْكَلامِ الَّذِي اصْطَفَيْتُكَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ، وَاشْكُرْ عَلَيْهِ ، أَمَّا النَّظَرُ فَقَدْ خَصَصْتُ بِهِ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ .

الفصل الثاني

فضله صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل الكرام

هُنَا أُثْبِتُ لَكَ فَضْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ، قَالَ تَعَالَى (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآلَاءِ وَالْإِكْرَامِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ خَيْرٍ أَعْطَاهُ لِرُسُلِهِ سِرًّا وَعَلَنًا، وَزَادَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَأَرْسَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَافَّةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَجَعَلَهُ خَاتَمَ الرُّسُلِ، فَلَمْ يَنْسَخْ شَرْعَهُ أَبَدَ الْآبِدِينَ، مَنَحَهُ كُلَّ مُعْجِزَةٍ لِلرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ فَضْلًا، وَزَادَهُ عَلَيْهَا إِحْسَانًا وَطَوْلًا.

- فَكَانَ كِتَابُ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ كَلِمَاتٍ، وَكِتَابُ مُوسَى صُحُفًا، قَالَ تَعَالَى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ). وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) وَمُوسَى بِالتَّوْرَاةِ عُرِفَ، وَكِتَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهَيْمِنٌ عَلَى الْكُلِّ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ)، فَمَنَحَهُ اللَّهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ مُتَوَاصِلًا إِلَيْهِ، وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحَدَّى بِالْكَلِمَاتِ وَالْأَسْمَاءِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ) وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَدَّى بِالْقُرْآنِ الْمَنْظُومِ

فكان بشيرًا ونذيرًا، قال سبحانه وتعالى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا).

- أكرم الله نوحًا عليه السلام بإمساك سفينته على الماء، وأكرم سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم فسبح الحجر الضخم بالإيماء على الماء، قال عكرمة بن أبي جهل: لا أصدقك يا محمد حتى يسبح هذا الحجر في الماء!! .. فأشار إليه صلى الله عليه وسلم فسبح بلا إبطاء حتى وقف بين يديه صلوات الله وسلامه وشهد له بالرسالة، فقال: يكفيك هذا؟ قال: حتى يرجع إلى مكانه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى مكانه الذي انخلع منه، وهذا حديث روي عنه.

- جعل سبحانه النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، وقال سبحانه: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على جسم محمد بن حاطب الذي احترق كله قائلًا صلوات الله وسلامه عليه (أذهب الباس رب الناس)، فعافاه الله لوقته ومنحه فضله.

- فلق سبحانه وتعالى البحر لموسى بالعصا، وفلق سبحانه لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم القمر وآياته لا تحصى.

- وَفَجَّرَ لِمُوسَى الْمَاءَ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَجْرَى الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَجْرِي نَهَرًا .

- ظَلَّلَ مُوسَى بِالْغَمَامِ فِي زَمَانِ رِسَالَتِهِ ، وَأَكْرَمَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ قَبْلَ ظُهُورِ نُبُوَّتِهِ .

- قَلَبَ سُبْحَانَهُ عَصَا مُوسَى ثُعْبَانًا ، وَأَكْرَمَ حَبِيبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا هَمَّ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَرْمِيَهُ بِالْحَجَرِ فَرَأَى عَلَى كَتِفَيْهِ ثُعْبَانَيْنِ فَفَرَّ حَيْرَانًا .

- وَسَبَّحَتِ الْجِبَالُ مَعَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَسَبَّحَتِ الْأَحْجَارُ فِي يَدِهِ وَفِي يَدِ أَصْحَابِهِ بِفَصِيحِ الْكَلَامِ .

- وَأَلَانَ سُبْحَانَهُ الْحَدِيدَ لِدَاوُدَ بِمَسْحِهِ عَلَيْهِ بُرْهَانًا ، وَمَسَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّاةَ الْجَدْبَاءَ فَدَرَّ ضَرْعُهَا أَلْبَانًا .

- حَشَرَ لِدَاوُدَ الطَّيْرَ إِكْرَامًا ، وَسَخَّرَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبُرَاقَ إِعْظَامًا .

- أَحْيَا عِيسَى الْمَوْتَى وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأَحْيَا لِلْحَبِيبِ الشَّاةَ الْمَسْمُومَةَ وَنَادَى الذِّرَاعُ إِنِّي مَسْمُومٌ فَأَبَاهُ ، وَمَسَحَ بِغُصْنٍ عَلَى امْرَأَةِ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ ، وَكَانَتْ بَرْصَاءَ فَمَنَحَهَا اللَّهُ الشِّفَاءَ الَّذِي تَمَنَّاهُ ، وَرَدَّ

حَدَقَةَ الصَّحَابِيِّ بَعْدَ سُقُوطِهَا يَوْمَ أُحُدٍ فَأَبْصَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَكَانَ عِيسَى يُخْبِرُ النَّاسَ بِمَا فِي بُيُوتِهِمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْخَفِيَّاتِ ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِمَا أَخْفَاهُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ فَأَسْلَمَ لِجَلِيِّ الْبَيِّنَاتِ .

- عَلَّمَ سُبْحَانَهُ سُلَيْمَانَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ ، وَرُوِيَ أَنَّ طَائِرًا صَارَ يُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُكَلِّمُهُ فَقَالَ : أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا ، فَقَالَ : أُرْدُدْ وَلَدَهَا ، وَكَلَامُ الذِّئْبِ وَالنَّاقَةِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشْهُورٌ ، شَرَحَ اللَّهُ بِهِ الصُّدُورَ .

- وَأَكْرَمَ اللَّهُ سُلَيْمَانَ بِالرِّيحِ تَحْمِلُهُ تَغْدُو شَهْرًا وَتَرُوحُ شَهْرًا ، وَحَمَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْبُرَاقِ فَوَصَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي نَفَسٍ سَيْرًا ، وَحَنَّ إِلَيْهِ الْجِذْعُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنِينَ الرَّضِيعِ ، عِنْدَمَا ارْتَقَى عَلَى الْمِنْبَرِ وَلَمْ يَتَشَرَّفْ بِمَسِّ النَّبِيِّ الشَّفِيعِ .

أَنْتَ شَمْسٌ قَدْ كُنْتَ بَدْءًا مُنِيرًا ... جِئْتَ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ بَشِيرًا

لَاحَ نُورُ الْهُدَى بِنُورِ مُحَيَّاكَ ... الْجَمِيلِ الْمُفِيضِ مِنْكَ السُّرُورَا

أَشْرَقَ النُّورُ بِالْهُدَى يَا حَبِيبِي ... يَمْحَقُ الْكُفْرَ وَالظَّلَامَ سُفُورًا

سَيِّدَ الرُّسْلِ بِالْهُدَى وَالتَّهَانِي ... قَدْ أَتَانَا فَكَانَ لِلرُّوحِ نُورَا

فِي ظَلَامٍ مِنْ قَبْلِهِ وَضَلَالٍ ... فَاهْتَدَيْنَا بِهِ شَهِدْنَا الْغَفُورَا

أَنْتَ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ يَقِينًا ... اشْهِدِ الرُّوحَ يَا حَبِيبِي ظُهُورَا

كُلُّ قَلْبٍ بِكَ اطْمَأَنَّ حَبِيبِي ... كُنْ شَفِيعِي وَاسْأَلْ مُجِيبًا قَدِيرَا

أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ نَعَمْ فِي رَبِيعٍ ... مَوْلِدُ الْمُصْطَفَى أَضَاءَ الضَّمِيرَا

تَفْرَحُ الرُّوحُ عِنْدَ ذِكْرَاهُ تُعْطَى ... كُلَّ خَيْرٍ تَرَى سِرَاجًا مُنِيرَا

هَذِهِ قَطْرَةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ، وَمُعْجِزَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى تَدُلُّ عَلَى مَكَانَتِهِ الْعَلِيَّةِ .

* * *

الباب الرابع

رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله الواسعة لكل موجود

وَهُنَا نُبَيِّنُ أَنَّهُ رَحْمَةُ اللهِ الْوَاسِعَةُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَنُورُهُ السَّاطِعُ مِنْ لَدُنْهُ سُبْحَانَهُ لِلْفَوْزِ بِالشُّهُودِ. جَاءَ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاعِيًا إِلَى الْأَخْلَاقِ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ قَوْمُهُ وَحَصَلَ الْافْتِرَاقُ. وَدَعَا سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِرْعَوْنَ إِلَى مَنْحِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْحُرِّيَّةَ فِي الْأَعْمَالِ، فَأَبَى وَتَكَبَّرَ فَأَغْرَقَهُ اللهُ فِي الْحَالِ. فَلَمْ يَنْتَفِعْ فِرْعَوْنُ بِالدَّعْوَةِ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ أَعَاذَنَا اللهُ بَلْوَةٌ. وَنَادَى الْخَلِيلُ بِالْانْتِقَامِ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ، وَجَعَلَ النَّارَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِنُورِهِ الْمَاحِي لِلظَّلَامِ. وَنَادَى نُوحٌ فِي قَوْمِهِ بِعِبَادَةِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، فَأَذَوْهُ وَكَفَرُوا فَأَغْرَقَهُمُ اللهُ فِي الطُّوفَانِ وَأَسْرَعَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَلَمْ يَنَالُوا خَيْرًا مَعَ وُضُوحِ الْحُجَّةِ فِي الْآثَارِ، وَمَا أَرْسَلَ اللهُ رَسُولًا مِنْ قَبْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَكَانَ سَبَبًا فِي الْإِهْلَاكِ وَالدَّمَارِ.

وَتَفْصِيلُ مَا أَجْمَلْتُهُ مُوَضَّحٌ فِي الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَسْفَارِ، وَلَا تَزَالُ الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَةُ مِنْ أَقْوَامِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،

يَحكُمُ الْعَقلُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقَائِدِ الْمُنَكَرَةِ عَقْلاً، لِأَنَّهُمْ فِي ظَلَامٍ وَضَلَالٍ، حَتَّى أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى بِالرَّحْمَةِ وَالْحَنَانِ، فَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) يَدْعُو إِلَى اللهِ بِوَاضِحِ الْبُرْهَانِ، وَقَالَ تَعَالَى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَهُمْ بَيْنَ مَجُوسٍ يَعْبُدُونَ مَا صَنَعَتْهُ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَحْجَارِ، أَوْ مُشْرِكِينَ قَدِ اتَّخَذُوا لِلَّهِ وَلَدًا، أَوْ ضَالِّينَ مُضِلِّينَ أَثْبَتُوا لَهُ سُبْحَانَهُ ضِدًّا وَنِدًّا.

فَمَا أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ الْمُحَمَّدِيَّةُ. عَلَى الْعَوَالِمِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، إِلَّا وَأَبْصَرَتِ الْعُيُونُ الْعَمْيَائِيَّةُ آيَاتِ اللهِ، وَصَغَتِ الْآذَانُ إِلَى الْكَلَامِ الْمُقَدَّسِ وَفَهِمَتْ مَعْنَاهُ، وَنَطَقَتِ الْأَلْسِنَةُ بِالْحِكْمَةِ الرُّوحَانِيَّةِ وَشَهِدَتِ الْأَرْوَاحُ الْجَمَالَاتِ الْأُلَهِيَّةِ، وَسَجَدَتِ الْقُلُوبُ لِعَلَّامِ الْغُيُوبِ، مُطْمَئِنَّةً بِمَا تَنَاوَلَتْهُ مِنْ طَهُورِ الْمَشْرُوبِ.

وَلَوْ أَنَّ بَنِي الْإِنْسَانِ نَظَرُوا بِعُيُونِ الْإِيمَانِ، إِلَى مَا تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِهِ الْكَرِيمُ الْحَنَّانُ، عَلَى يَدِ حَبِيبِهِ وَمُصْطَفَاهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْحَنَانِ، بِمَا جَاءَنَا بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْقُرْآنِ، لَعَرَفُوا قَدْرَ هَذَا

الرَّسُولِ الْكَرِيمِ . وَلَتَحَقَّقْنَا أَنَّ أَرْوَاحَنَا قَلِيلَةٌ أَنْ تُبْذَلَ فِي إِحْيَاءِ سُنَّةِ هَذَا النَّبِيِّ الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ .

كَانَ النَّاسُ قَبْلَ بَعْثَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ظَلَامٍ حَالِكٍ ، مِنْ كُفْرٍ وَظُلْمٍ وَكَانَ الْكُلُّ قَبْلَهُ هَالِكٌ ، قَالَ تَعَالَى : (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) .

وَنِعْمَةُ اللَّهِ هِيَ حَبِيبُهُ وَمُصْطَفَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) ، يَعْنِي أَنْقَذَنَا مِنَ الْكُفْرِ الْمُوجِبِ لِلنَّارِ بِمَا جَاءَنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْأَنْوَارِ .

لَوْ تَذَكَّرْنَا مَا كَانَ الْعَالَمُ عَلَيْهِ قَبْلَ إِشْرَاقِ أَنْوَارِهِ ، وَمَا كَانُوا فِيهِ قَبْلَ ظُهُورِ أَسْرَارِهِ ، لَعَادَتْ لَنَا حَيَاتُنَا الرُّوحَانِيَّةُ وَأَنْوَارُنَا الرَّبَّانِيَّةُ ، وَلَكَانَ اللَّهُ مَعَنَا كَمَا كَانَ مَعَ سَلَفِنَا يَسْتَجِيبُ لَنَا إِذَا سَأَلْنَا ، وَيُعِينُنَا إِذَا اسْتَعَنَّا ، وَنَحْنُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا نَزَالُ وَلَنْ نَزَالَ مَهْمَا كَرَّتِ الدُّهُورُ ، أَوْ تَوَالَتِ الْأَيَّامُ وَالْعُصُورُ ، نَشْهَدُ أَنْوَارَهُ الْمُحَمَّدِيَّةَ مُشْرِقَةً لَا تَغِيبُ . تَسْطَعُ أَنْوَارُهُ عَلَى قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ فَتَجْذِبُهُمْ إِلَى التَّقْرِيبِ .

وَكَيْفَ لَا وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَنَا بِمُعْجِزَاتِهِ الْعُظْمَى ، وَفِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِآيَاتِهِ الْكُبْرَى ، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ وَمَنْ أُلْهِمُوا الْفِقْهَ فِيهِ ، وَلَا يَزَالُ يَظْهَرُ بَيْنَ ظَهْرَانِينَا الْوَارِثُ بَعْدَ الْوَارِثِ يَتَوَلَّاهُ اللَّهُ وَيَهْدِيهِ ، يُقِيمُ بِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى الْعَالَمِ حُجَّتَهُ ، وَيُبَيِّنُ بِهِ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحَجَّتَهُ ، فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَغِيبُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا حَفِظُوا حُجَّتَهُ .

وَكَيْفَ يَغِيبُ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّمْسُ الْمُشْرِقَةُ مِنَ الْبَدْءِ إِلَى الْخَتْمِ لِلْعَالَمِينَ ، وَنَحْنُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا تَوَالَتِ الْقُرُونُ فِي التَّجْدِيدِ ، كُلَّمَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْقُلُوبِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْوَارُ التَّوْحِيدِ ، فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةُ اللَّهِ حَقًّا فِي الدُّنْيَا ، وَنِعْمَتُهُ سُبْحَانَهُ وَرِضْوَانُهُ فِي الْأُخْرَى ، وَفَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا بِهِ لَا يُحْصَى ، وَإِحْسَانُهُ الْخَاصُّ بِنَا لَا يُسْتَقْصَى وَكَيْفَ لَا وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) .

الباب الخامس

الإحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم

أَصْغَرُ مُسْلِمٍ لَا يَغِيبُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَادَامَ يَعْمَلُ بِالْقُرْآنِ وَبِسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، فَبُشْرَى لَنَا بِمَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِى يُذَكِّرُنَا مَا أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالتَّمْكِينِ ، نَفْرَحُ بِمَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحًا يَفُوقُ فَرَحَنَا بِالْعَافِيَةِ وَالْمَالِ ، بَلْ يَفُوقُ فَرَحَنَا بِالْمُلْكِ وَالْعِيَالِ ، نُحْيِي لَيَالِيهِ بِالْفَرَحِ وَالْمَسَرَّاتِ ، حُبُورًا بِمَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ الَّذِى تَوَالَتْ بِهِ الْخَيْرَاتُ ، وَأَىُّ مُسْلِمٍ لَا يُحْيِي تِلْكَ اللَّيَالِى فَرَحًا مَسْرُورًا ؟ تَجْدِيدًا لِذِكْرَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نُعْمَاهُ وَحُبُورًا ؟

وَقَدْ عَيَّنَ اللَّهُ لِلْخَيْرِ أَوْقَاتًا ، وَجَعَلَهَا لِلْعَطَايَا آنَاتٍ ، كَمَا جَعَلَ لِغَيْثِ السَّمَاءِ أَوْقَاتًا مُعَيَّنَةً ، وَجَعَلَ لِزِيَادَةِ النِّيلِ وَالْأَنْهَارِ الْأُخْرَى أَيَّامًا مُبَيَّنَةً ، فَكَذَلِكَ جَعَلَ أَوَائِلَ رَبِيعٍ أَوَّلٍ . لِتُشْرِقَ فِيهَا شَمْسُ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَتُفَاضُ فِيهَا أَنْهَارُ الْفَضْلِ الْإِحْسَانِيَّةِ ، فَطُوبَى لِمَنْ أَحْيَا تِلْكَ اللَّيَالِى حُبًّا فِى رَسُولِ اللَّهِ ، وَقَدَّمَ فِيهَا الْخَيْرَ لِيَنَالَ مَا يَتَمَنَّاهُ ، بَلْ وَبُشْرَى لِمَنْ بَيَّنَ لِلْمُسْلِمِينَ شَمَائِلَ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ، وَوَضَّحَ لَهُمْ مَا نَالَتْهُ الْأُمَّةُ

الْمُحَمَّدِيَّةُ مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّفَا ، فَتَمَثَّلَتِ النُّفُوسُ جَمَالَهُ الْمُحَمَّدِي ، وَمَا تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا مِنَ الْخَيْرِ بِهَذَا النَّبِيِّ الأُمِّيِّ .

وَإِنْ كَانَ ابْنُ الْحَاجِّ فِي الْمَدْخَلِ قَدْ أَنْكَرَ ، فَإِنَّهُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ حَكَمَ وَلَمْ يَتَبَصَّرْ ، إِنَّ إِحْيَاءَ لَيَالِي الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ وَإِنْ لَمْ تَظْهَرْ فِي عَهْدِ السَّلَفِ ، فَإِنَّ أَنْفُسَهُمْ كُلَّهَا كَانَتْ ذِكْرَى لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْهُ تُحَفٌ ، وَكَانَتْ قُلُوبُهُمْ تَمَثَّلُهُ فِي كُلِّ هِمَّةٍ وَحَرَكَةٍ ، وَتَسْتَحْضِرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ لَمَّةٍ وَسَكَنَةٍ ، وَقَدْ شَغَلَتِ الدُّنْيَا وَحُظُوظُهَا الْقُلُوبَ ، فَاحْتَاجَتْ إِلَى الْيَقَظَةِ لِذِكْرِ شَمَائِلِ الْحَبِيبِ الْمَحْبُوبِ ، لِتَحْيَا فِي رِيَاضِ الشُّهُودِ وَتَتَنَاوَلَ مِنْ طَهُورِ الْمَشْرُوبِ .

وَإِنِّي أَسْتَحْسِنُ كُلَّ الاسْتِحْسَانِ ، مَا يَقُومُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ إِحْيَاءِ لَيَالِي الْمَوْلِدِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، تَجْدِيدًا لِذِكْرَى مَنْ بِهِ أَسْعَدَنَا اللَّهُ بِالإِيمَانِ ، وَإِنِ ادَّعَى مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْنَا بِحُصُولِ الْمَفَاسِدِ وَالْبِدَعِ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ الْعَامَّ الَّذِي بِهِ كُلُّ إِنْسَانٍ انْتَفَعَ ، لا يُمْنَعُ بِحُصُولِ مَفْسَدَةٍ بِسَبَبِهِ إِذَا عَمَّ النَّفْعُ بِهِ وَسَطَعَ ، وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ لَكَانَتْ بَعْثَةُ الرُّسُلِ وَشُرُوقُ الشَّمْسِ وَإِنْزَالُ الأَمْطَارِ أَوْلَى بِالْمَنْعِ

مِمَّنْ مَنَعَ ، فَلْيَتَّقِ اللهَ مَنْ يَمْنَعُونَ هَذَا الْخَيْرَ فَإِنَّ مَنْعَهُمْ هُوَ شَرُّ الْبِدَعِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَهْدِي مَنْ سَبَقَ لَهُ الْهُدَى ، وَيُضِلُّ مَنْ سَبَقَ لَهُ الرَّدَى ، وَإِنَّ فُقَرَاءَ آلِ الْعَزَائِمِ يَفْرَحُونَ بِرَسُولِ اللهِ ، وَيَشْهَدُونَ أَنْوَارَهُ عِنْدَ ذِكْرَاهُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَبِيبِكَ الْمُصْطَفَى ، أَنْ تُورِدَنَا مَوَارِدَ أَهْلِ الصَّفَا ، وَأَنْ تُعِينَنَا يَا رَبَّنَا عَلَى الْقِيَامِ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْوَفَا ، وَأَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَفْرَحُ بِذِكْرَاهُ ، وَمِمَّنْ نَصَرَهُ وَوَالَاهُ ، وَأَنْ تُحْيِيَ قُلُوبَنَا بِإِحْيَاءِ لَيَالِي مَوْلِدِ حَبِيبِكَ الشَّفِيعِ الْأَعْظَمِ ، وَتُعِينَنَا عَلَى شُكْرِكَ سُبْحَانَكَ بِمَا تَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَيْنَا بِوَسِيلَتِنَا الْعُظْمَى وَحَبِيبِنَا النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ، وَنَتَوَجَّهُ يَا إِلَهِي إِلَيْكَ ، بِحُبِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاهِهِ لَدَيْكَ ، أَنْ تَجْعَلَنَا أَنْصَارًا لِحَضْرَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، عَامِلِينَ بِسُنَّتِهِ النَّبَوِيَّةِ ، مُجَدِّدِينَ يَا إِلَهِي لِآثَارِهِ ، فَائِزِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِأَنْوَارِهِ ، وَأَنْ تُمَكِّنَ لَنَا بِالْحَقِّ فِي الْأَرْضِ ، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَّةِ وَالْفَرْضِ ، وَالْقِيَامِ لَكَ سُبْحَانَكَ بِكَ بِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ .

اللَّهُمَّ تَنَزَّلْ بِإِحْسَانِكَ وَعَفْوِكَ وَحَنَانِكَ لِكُلِّ مَنْ أَعَانَ ،

عَلَى تِلَاوَةِ هَذَا الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ وَاجْعَلْهُ يَا إِلَهِي فِي حُصُونِ الْأَمَانِ ، وَتَفَضَّلْ يَا إِلَهِي عَلَى السَّامِعِينَ بِالتَّوْفِيقِ لِلتَّشَبُّهِ بِشَمَائِلِ حَبِيبِكَ وَمُصْطَفَاكَ ، وَأَجْزِلْ يَا إِلَهِي سَوَابِغَ آلَائِكَ وَنَعْمَائِكَ ، لَنَا وَلَهُمْ وَامْنَحِ الشِّفَاءَ وَالْعَافِيَةَ ، وَيَسِّرْ لَنَا يَا إِلَهِي مِنَ الْخَيْرِ الْمَقْصُودَ الدَّاعِيَةَ . وَادْفَعْ عَنَّا يَا إِلَهِي الْمَصَائِبَ وَالْبَلَايَا ، وَفَرِّحْنَا يَا إِلَهِي بِتَوَالِي الْخَيْرِ وَالْعَطَايَا ، وَأَصْلِحْ بَيْنَنَا ، وَهَبْ لَنَا ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ مُجِيبُ الدُّعَاءِ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَاحْفَظْ يَا إِلَهِي فُقَرَاءَ آلِ الْعَزَائِمِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ ، وَهَبْ لَنَا جَمِيعًا الْمِنَحَ وَالْمِنَنَ ، وَأَهْلِكْ يَا إِلَهِي أَعْدَاءَكَ وَأَعْدَاءَنَا ، وَأَعِدْهُمْ عَبِيدًا لَنَا ، أَذِلَّاءَ كَمَا كَانُوا ، وَاجْعَلِ الْعَمَلَ بِالسُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَأَيِّدْ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ ، بِرُوحَانِيَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَكُنْ لَنَا وَمَعَنَا كَمَا كُنْتَ لِسَلَفِنَا الصَّالِحِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

أَجْمَعِينَ

البابُ السادسُ

القصائد المحمدية

قال رضى الله عنه:

لَيَالِي رَسُولِ اللهِ أَشْرَقَ نُورُهَا … عَلَيْنَا وَفِى الْكَوْنَيْنِ فَاحَ عَبِيرُهَا
فَبُشْرَى لِمَنْ أَحْيَا لَيَالِى مُحَمَّدٍ … فَهَا هِىَ بِالإِقْبَالِ لاَحَتْ بُدُورُهَا
فَهَيَّا بِنَا نُحْيِى لَيَالِىَ أَحْمَدَ … لنحظَى بِفِرْدَوْسِ الْجِنَانِ وَحُورِهَا
خُصُوصاً لَيَالِى الصَّفْوِ وَالْقُرْبِ وَاللِّقَا … لِيَالِ بِطَيْبَةَ قَدْ تَبَدَّى سُرُورُهَا
أَلاَ يَارَسُولَ اللهِ جِئْنَاكَ نَرْتَجِى … بِكَ الْغَوْثَ يَاضَوْءَ الْعُيُونِ وَنُورَهَا
أَلاَ يَا حَبِيبَ اللهِ جِئْنَاكَ نَرْتَجِى … بِكَ الْغَوْثَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ وَحَرِّهَا

قال رضى الله عنه:

يَاأَبَا الزَّهْرَا وَجَدَّ الْحَسَنَيْنِ … يَا إِمَامَ الرُّسْلِ قُرَّةَ كُلِّ عَيْنِ
أَنْتَ نُورُ اللهِ وَالسِّرُّ الَّذِى … قَدْ تَجَلَّى مُشْرِقاً فِى النَّشْأَتَيْنِ
أَنْتَ رُوحُ الْقُدْسِ نُورُ هِدَايَةٍ … قَدْ أَمَدَّ اللهُ مِنْكَ الْعَالَمَيْنِ
مِنْ ضِيَاكَ عَوَالِمُ الْمَلَكُوتِ قَدْ … جُمِّلُوا بِمَشَاهِدٍ فِى الْحَضْرَتَيْنِ
بَلْ وَرُسْلُ اللهِ مِنْكَ تَعَلَّمُوا … سِرَّ بَعْثَتِهِمْ بِلاَ شَكٍّ وَمَيْنِ
مَنْ يَلُذْ بِجَنَابِكَ الْعَالِى يَفُزْ … بِالرِّضَا وَالْخَيْرِ فَضْلاً وَاللُّجَيْنِ
يُعْطَ فَضْلَ اللهِ وَالْحُسْنَى الَّتِى … يَمْنَحُ اللهُ بِآيِ الْجَنَّتَيْنِ
يَرْتَقِى لِلْجَلْوَةِ الْكُبْرَى يَنَلْ … حُظْوَةَ الْقُرْبِ بِلاَ فَصْلٍ وَبَيْنِ
يَا رَسُولَ اللهِ جِئْتُكَ لاَئِذاً … أَرْجُو فَضْلَكَ يَا إِمَامَ الْقِبْلَتَيْنِ
نَظْرَةً يَاسَيِّدِى نَبَوِيَّةً … تَرْفَعُ الصَّبَّ وَتَمْحُو كُلَّ رَيْنِ
يَجْمَعُ اللهُ الْقُلُوبَ بِنَصْرِهِ … يَشْرَحُ الصَّدْرَ بِنَيْلِ النِّعْمَتَيْنِ
يُحْيِى كُلَّ الْمُسْلِمِينَ يُعِزُّهُمْ … يَنْشُرُ الإِسْلاَمَ فَوْقَ الْخَافِقَيْنِ
يَا رَسُولَ اللهِ وُدُّكَ سَيِّدِى … يَا أَبَا الزَّهْرَا وَجَدَّ الْحَسَنَيْنِ
رَبِّ صَلِّ عَلَى الشَّفِيعِ الْمُرْتَجَى … حِصْنِ أُمَّتِكَ وَالضِّيَاءِ لِكُلِّ عَيْنِ

قال رضى الله عنه :

بِجَاهِكَ يَا إِمَامَ الْمُرْسَلِينَا ... وَقَدْرِكَ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَا
تَوَسَّلْنَا وَأَنْتَ لَنَا شَفِيعٌ ... فَوُدًّا يُحْيِى كُلَّ الْمُسْلِمِينَا
وَأَنْتَ وَسِيلَةٌ تُرْجَى وَغَوْثٌ ... نَنَالُ بِكَ السَّعَادَةَ أَجْمَعِينَا
وَفِى آيِ الضُّحَى بُرْهَانُ قَوْلِى ... أَرَى قَدْ جَاءَكُمْ نُورًا مُبِينَا
تَشَفَّعْنَا بِجَاهِكَ عِنْدَ رَبِّى ... أَقَرَّ بِفَضْلِهِ مِنَّا الْعُيُونَا
لَنَا فَاسْتَغْفِرَنْ فَلَقَدْ أَتَيْنَا ... لِنَدْفَعَ خَصْمَنَا الْوَغْدَ اللَّعِينَا
رَسُولَ اللهِ دِينَكَ يَا حَبِيبِى ... أَعِزَّهُ نَظْرَةً يَعْلُو مَكِينَا
أَعَادِى رَبِّنَا ظَلَمُوا وَإِنَّا ... رَأَيْنَا الْمُصْطَفَى الْهَادِى ضَنِينَا
وأَهلُ الكفرِ قد ظلمُوا وجاسُوا ... خِلَالَ دِيَارِنَا حِينًا فَحِينَا
وَقَدْ سَفَكُوا الدِّمَا جَاسُوا دِيَارًا ... لَقَدْ فُتِحَتْ بِأَفْرَادٍ يَقِينًا
رَسُولَ اللهِ مَنْ يُرْجَى لِهَوْلٍ ... يُشِيبُ الطِّفْلَ ، مَنْ يُرْجَى مُعِينَا
سِوَاكَ لِرَبِّنَا ، عَطْفًا وَوُدًّا ... بِهِ يَعْلُو فَتًى أَضْحَى مَهِينَا
رَسُولَ اللهِ قَدْ طَعَنُوا وَظَلَمُوا ... وَهَمُّوا يُطْفِئُونَ ضِيَا وَدِينَا
وَقَدْ تُبْنَا أَنِبْنَا فِى اضْطِرَارٍ ... إِلى اللهِ عَسَى يَمْحُو مَكُونَا
رَسُولَ اللهِ يَا رَؤُفًا رَحِيمًا ... لَنَا فَاشْفَعْ لَقَدْ ذُبْنَا شُجُونَا
رَسُولَ اللهِ أَنْتَ غِيَاثُ عَانٍ ... وَأَنْتَ حَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَا
وَبِضْعِ سِنِينَ قَدْ غَلَبُوا وَجَارُوا ... عَلَيْنَا سَيِّدِى وَفَّ الدُّيُونَا
رَسُولَ اللهِ نَدْعُو بِاضْطِرَارٍ ... إِلَهَ الْعَرْشِ يُشْهِدُنَا الْأَمِينَا
وَحَاشَا يَا رَسُولَ اللهِ حَاشَا ... يُنَادِيكَ الْفَتَى فَيُرَى ضَنِينَا
أَغِثْنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَنْجِدْ ... لِيَدْفَعَ رَبُّنَا عَنَّا الْمَنُونَا
يُذِلُّ عَدُوَّهُ الطَّاغِى وَيَرْمِى ... بِغَارَتِهِ اللِّئَامَ الْأَرْذَلِينَا
يُشَتِّتُ شَمْلَهُمْ فِى كُلِّ أَرْضٍ ... بِهَا سَكَنُوا لِظُلْمِ الْمُخْلِصِينَا
بِجَاهِكَ يَا رَسُولَ اللهِ نَدْعُو ... إِلَهَ الْعَرْشِ مَوْلَانَا الْمُعِينَا
فَأَهْلِكْ جَمْعَ أُورُبَّا وَجَدِّدْ ... بِنَا مِنْهَاجَكَ الْأَعْلَى الْمُبِينَا
لِتَسْكُنَ نَفْسُنَا لِلهِ فَضْلًا ... وَيَحْيَا بِالْجَمَالِ الْمُؤْمِنُونَا

قال رضى الله عنه :

رَسُولَ اللهِ يَا نُورَ الْمَجَالِي — وَعَرْشًا لِلْحَقِيقَةِ وَالْكَمَالِ
رَسُولَ اللهِ يَا نُورًا تَعَالَى — وَصُورَةَ قُدْسِ أَنْوَارِ الْمِثَالِ
وَنُسْخَةَ عَيْنِ نُورِ الْكَنْزِ أَصْلاً — وَنُورَ الزَّيْتِ بَلْ سِرَّ الْجَمَالِ
رَسُولَ اللهِ يَا حَقًّا يَقِينًا — وَيَا عَيْنًا تَحلَّتْ بِالْكَمَالِ
رَسُولَ اللهِ يَا شَمْسًا أَضَاءَتْ — عَنِ الْكَنْزِ الْمُطَلْسَمِ بِالْجَلاَلِ
رَسُولَ اللهِ يَا كَوْكَبَ قُدْسٍ — أَضَاءَ بِكَنْزِ أَعْيَانِ الْمَعَالِي
رَسُولَ اللهِ يَا أَصْلاً تَسَامَى — وَيَا زَيْتَ الزُّجَاجَةِ وَالْمِثَالِ
وَيَا أُمَّ الْكِتَابِ لَدَى التَّجَلِّي — وَمَجْلِي نُورِهِ لِلاِتِّصَالِ
رَسُولَ اللهِ يَا آيَةَ نُورٍ — وَيَا بَابًا لِلْمَعِيَّةِ وَالْوِصَالِ
سَأَلْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَضْلاً — فَعَامِلْنِي بِفَضْلِكَ وَالْجَمَالِ
وَجِئْتُكَ خَاضِعًا أَرْجُو ، أَنِلْنِي — وِصَالَكَ سَيِّدِي حُسْنَ الْمَآلِ
أَفِضْ يَا سَيِّدِي بَحْرَ الْعَطَايَا — بِفَضْلِكَ وَاقْضِ يَا غَوْثِي سُؤَالِي
وَنَاوِلْنِي مِنَ الْحَوْضِ الْمُعَلَّى — شَرَابًا يَبْدُ لِي مِنْهُ اتِّصَالِي
وَمِنْ رَاحِ الْحَقِيقَةِ وَالْمَعَانِي — فَنَاوِلْنِي الشَّرَابَ إِلَى الْكَمَالِ
وَبِالإِحْسَانِ يَا مَوْلاَيَ جُدْ لِي — وَأَشْهِدْنِي وَحَقِّكَ لِلْجَمَالِ
فَإِنِّي يَا رَسُولَ اللهِ عَبْدٌ — ذَلِيلٌ مُذْنِبٌ فَارْأَفْ بِحَالِي
تَلَطَّفْ يَا رَسُولَ اللهِ أَدْرِكْ — مُحَمَّدَ مَاضِيًا وَاسْمَعْ مَقَالِي
فَحُبُّكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَضْنَى — فُؤَادِي فَامْنَحَنْ لِي بِالْوِصَالِ
رَجَوْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ لَمَّا — تَحَلَّى مِنْكَ بِالإِحْسَانِ حَالِي
وَجِئْتُ حِمَاكَ يَا طَهَ وَقَصْدِي — رِضَاكَ فَجُدْ وَحَقِّكَ بِالْوِصَالِ
عَلَيْكَ اللهُ قَدْ صَلَّى حَبِيبِي — وَسَلَّمَ بِالْحَقِيقَةِ وَالْكَمَالِ
فَمِنْكَ عَلَيْكَ يَا طَهَ صَلاَةٌ — وَتَسْلِيمٌ بِهِ يُقْضَى سُؤَالِي

قال رضى الله عنه :

إِلَيْكَ رَسُولَ اللهِ أَرْفَعُ حَاجَتِي — وَأَنْتَ رَسُولَ اللهِ ذُخْرِي وَنَجْدَتِي
وَأَشْكُو إِلَيْكَ الْيَوْمَ يَا سَيِّدَ الْوَرَى — فَفَرِّجْ رَسُولَ اللهِ ضِيقِي وَكُرْبَتِي

وَأَنْجِدْ رَسُولَ اللهِ وَارْحَمْ وَإِنَّنِي ... وَحَقِّكَ يَا طَهَ عَلَيْكَ حِمَايَتِي

وَحَاشَا رَسُولَ اللهِ أَرْجُوكَ دَاعِياً ... وَأُتْرَكُ يَا طَهَ بِغَيْرِ إِجَابَةِ

فَأَدْرِكْ رَسُولَ اللهِ مَنْ أَمَّ بَابَكُمْ ... ووافَى بِذُلٍّ وَانْكِسَارٍ وَغُرْبَةِ

وَخَلِّصْ مِنَ الأَغْيَارِ مَاضِيكَ سَيِّدِي ... فَكَمْ يَا رَسُولَ اللهِ لَبَّيْتَ دَعْوَتِي

تَوَجَّهْتُ يَا طَهَ إِلَيْكَ وَإِنَّنِي ... عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنْ تُخَلِّصَ مُهْجَتِي

رَمَانِي أُولُوا البُهْتَانِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ ... بِمَا قَدْ رَمُوا قَبْلِي جُدُودِي وَخُلَّتِي

وَقَامُوا عَلَى قَدَمِ الْغَوَايَةِ كُلُّهُمْ ... يَرُومُونَنِي بِالسُّوءِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ

وإِنِّي رَسُولَ اللهِ دَاعٍ بِكُمْ لَكُمْ ... وَأَنْتُمْ غِيَاثِي بَلْ وَنَصْرِي وَحُجَّتِي

فَلَبِّ رَسُولَ اللهِ دَعْوَةَ مَنْ غَدَا ... بِحُبِّكَ مَشْغُولاً أَتَاكَ بِرَغْبَةِ

وَأَيِّدْهُ يَا خَيْرَ الْخَلاَئِقِ كُلِّهِمْ ... بِتَأْيِيدِكَ السَّامِي وَمَحْضِ الْعِنَايَةِ

وَسَلِّطْ عَلَى الأَعْدَاءِ مِنْكَ بَلِيَّةً ... لِتَشْغَلَهُمْ عَنِّي بِعِظَمِ الْمُصِيبَةِ

وَهَا هُوَ أَمْرِي قَدْ رَفَعْتُ وَإِنَّنِي ... تَحَقَّقْتُ يَا مَوْلاَيَ إِنْجَازَ دَعْوَتِي

بِأَبْنَائِكَ الْغُرِّ الْكِرَامِ وَمَنْ لَهُمْ ... لَقَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الضُّحَى بِالإِجَابَةِ

وَأَصْحَابِكَ الرَّاقِينَ أَعْلَى مَكَانَةٍ ... بِحَقِّكَ يَا طَهَ وَمَحْضِ الْمَبَرَّةِ

بِبَدْرٍ وَأُحُدٍ سَيِّدِي وَبِبَيْعَةٍ ... بِهَا رَفَعُوا أَهْلَ الْهُدَى وَ الشَّهَادَةِ

بِبَكَّةَ وَالطُّوَافِ وَالْكَعْبَةِ الَّتِي ... هِيَ الْوِجْهَةُ الْعُظْمَى لأَهْلِ الإِشَارَةِ

بِآلِكَ يَا طَهَ وَمَنْ بِكَ قَدْ رَقُوا ... لأَعْلَى مَقَامٍ بَلْ وَأَرْفَعِ رُتْبَةِ

وَبِالْبَضْعَةِ الْعُظْمَى وَبِابْنَيْ جَنَابِهَا ... وَبِالسَّيِّدِ الْكَرَّارِ بَابِ النُّبُوَّةِ

بِصِدِّيقِكَ السَّامِي الرَّفِيعِ مَقَامُهُ ... وَفَارُوقِكَ الْفَانِي بِحُبِّ الْجَلاَلَةِ

وَعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ أَسْأَلُ سَيِّدِي ... إِغَاثَةَ مَلْهُوفٍ فَجُدْلِي بِنَجْدَةِ

وَكُنْ شَافِعاً لِي سَيِّدِي وَمُسَاعِدِي ... فَمَنْ أَمَّكُمْ نَالَ الْمُنَى بِالسَّعَادَةِ

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ... صَلاَةٌ بِهَا أَحْظَى بِنَيْلِ الْمَسَرَّةِ

قال رضى الله عنه :

إِذَا مَا جِئْتَ طَيْبَةَ يَا خَلِيلِي ... فَبُحْ بِاسْمِي عَسَى أَنْ يَرْحَمُونِي

وَنَادِي سَادَتِي (مَاضِي) مَشُوقٌ ... لَعَلَّهُمْ بِفَضْلٍ يُسْعِفُونِي

وَمَرِّغْ فَوْقَ هَذَا التُّرْبِ خَدِّي ... وَنُبْ عَنِّي وَبَلِّغْهُمْ شُجُونِي

فَشَوْقِى قَدْ نَمَا وَقَوِى زَفِيرِى — وَزَادَ تَأَوُّهِى وَعَلاَ أَنِينِى

وَمَالِى يَارَسُولَ اللهِ إِلاَّ — حِمَاكَ مِنَ الْهَوَاجِسِ قَدْ يَقِينِى

تَرَفَّقْ يَا رَسُولَ اللهِ وَارْحَمْ — فَعِشْقِى كَيْفَ يَخْفَى أَوْ جُنُونِى

فَجُدْلِى مِنْكَ يَا طَهَ بِوَصْلٍ — بِهِ أَحْيَا وَأَشْهَدُ بِالْعُيُونِ

فَجِسْمِى قَدْ ضَنِى وَالصَّبْرُ وَلَّى — وَحُسْنُكَ ظَاهِرٌ لِى عَنْ يَمِينِى

وَحَاشَا يَا كِرَامَ الْحَىِّ أَنِّى — أَهِيمُ بِكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْرُكُونِى

وَهَا أَنَا قَدْ رَفَعْتُ الْيَوْمَ أَمْرِى — فَكُنْ لِى مُنْجِداً فِى كُلِّ حِينِ

وَسَهِّلْ لِى الْوُصُولَ إِلَى حِمَاكُمْ — وَمِنْ هَوْلِ الْقِيَامَةِ كُنْ ضَمِينِى

وَمُدَّ مُحَمَّداً مَاضِى بِغَيْثٍ — مِنَ الإِحْسَانِ يَا نِعْمَ الأَمِينِ

وَمُدَّ الأَهْلَ وَالإِخْوَانَ طُرًّا — وَكُلَّ الْمُسْلِمِينَ وَكُنْ مُعِينِى

وَصَلَّى اللهُ مَوْلاَنَا وَسَلَّمْ — عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالدِّينِ الْمَتِينِ

قال رضى الله عنه:

جَمَالُ الْوَجْهِ قَدْ لاَحَا — وَدَاعِى الْوَصْلِ قَدْ صَاحَا

وَشَمْسُ الذَّاتِ قَدْ ظَهَرَتْ — وطِيبُ الْكَنْزِ قَدْ فَاحَا

وَبَدْرُ الْقُدْسِ قَدْ لَمَعَا — وَفَضْلاً نَاوَلَ الرَّاحَا

فَنِى مَنْ شَاهَدَ الْمَجْلَى — وَنَالَ السِّرَّ وارْتَاحَا

وَغَنَّى بِالْحَقَائِقِ مَنْ — رَأَى الأَشْبَاحَ أَرْوَاحَا

وَلَبَّى مَنْ دُعِى فَرَقَى — لِقُدْسٍ صَارَ فَيَّاحَا

تَجَلَّى وَارْتَقَى وَسَمَا — وَبِعْدَ الشُّرْبِ قَدْ بَاحَا

وَلَمَّا أَنْ رَأَى الْمَجْلَى — بِعَيْنِ الْعَيْنِ قَدْ صَاحَا

أَهَذَا الأَصْلُ يَا وَيْحِى — فَمَالِى كُنْتُ سَوَّاحَا

نَعَمْ مِنْهُ بِهِ وَلَهُ — أَدَارَ الْكَأْسَ وَالرَّاحَا

وَلاَ خَمْرٌ وَلاَ قَدَحٌ — إِذَا عَايَنْتَ إِصْلاَحَا

تَرَى شَمْساً مُقَدَّسَةً — وَأَصْلاً بِالصَّفَا لاَحَا

لَدَيْهَا تَبْدُو وَحْدَتُهُ ... وَفِيهَا مَاتَ مَنْ بَاحَا
إِذًا لاَشَيْءَ إِلاَّ هُو ... وَهَذَا الطِّيبُ قَدْ فَاحَا
وَهَذَا سِرُّ مَجْلاَهُ ... وَمَنْ قَدْ شَامَ أَرْوَاحَا

قال رضى الله عنه:

سِرُّ الوُصُولِ إِلَى الجَنَابِ العَالِى ... حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَالآلِ
تُعْطَى القَبُولَ وَتُرْفَعَنْ لِجَنَابِهِ ... وَتَنَالُ مَا تَرْجُوهُ مِنْ آمَالِ
وَالفَضْلُ لاَ يُعْطَى لِعِلَّةِ عَامِلٍ ... نَزَّهْ إِلَهَكَ عَنْ سِوَى وَمِثَالِ
كَمْ عَامِلٍ فِى ظُلْمَةٍ لاَيَشْهَدَنْ ... إِلاَّ وَسَاوِسَ نَفْسِهِ بِخَيَالِ
وَالفَضْلَ فَضْلُ اللهِ يُعْطَى مِنَّةً ... بِالحُبِّ فِى طَهَ العَزِيزِ الغَالِى
مِنْ لَحْظَةٍ فِى الحُبِّ تَشْهَدُ وَجْهَهُ ... وَتَفُوزُ مِنْهُ بِسِرِّهِ وَالحَالِ
تُعْطَى العُلُومَ وَتَشْهَدَنْ فَتُتَرْجِمَنْ ... بِلِسَانِ أَهْلِ القُرْبِ وَالأَبْدَالِ
تُعْطَى الجَمَالَ فَلاَ يَرَاكَ مُصَدِّقٌ ... إِلاَّ وَيَشْهَدُ نُورَهُ المُتَلاَلِى
مِنْ أَيْنَ هَذَا العِلْمَ وَالنُّورُ الَّذِى ... أُعْطِيتَهُ مِنْ لَحْظَةٍ فِى الحَالِ ؟
مِنْ حُبِّ قَلْبِى لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ... نِلْتُ المُنَى بَلْ نِلْتُ كُلَّ أَمَالِى
بُشْرَى لِمَنْ عَشِقُوا جَمَالَ مُحَمَّدٍ ... نَالُوا القَبُولَ مِنَ الوَلِيِّ الوَالِى
أَنَا يَا حَبِيبِى فِى هَوَاكَ مُتَيَّمٌ ... وَشُهُودُ وَجْهِكَ بُغْيَتِى وَنَوَالِى
وَاجِهْ بِهَذَا الوَجْهِ مُضْنًى مُغْرَمًا ... يَرْجُو نَوَالَ القُرْبِ وَالإِيصَالِ
أَنْتَ الوَسِيلَةُ أَنْتَ نُورُ قُلُوبِنَا ... أَنتَ الشَّفِيعُ بِحَضْرَةِ المُتَعَالِى

قال رضى الله عنه:

يَارَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدْ ... أَحْمَدْ حَبِيبِى ضِيَا العُيُونِ
بَدَا صَلاَحِى لَمَّا سَقُونِى ... رَاحَ التَّدَانِى وَأَطْلَعُونِى
عَلَى مَجَالِى الصِّفَاتِ حَتَّى ... شَرِبْتُ صِرْفًا فَهَيَّمُونِى
وَأَوْدَعُوا مُهْجَتِى سُلاَفًا ... وَعِنْدَ جَمْعِى قَدْ أَسْمَعُونِى

لَذِيذٌ مَعْنَى خِطَابِ رَبِّى … لَا تُشْرِكُوا بِى وَوَحِّدُونِى
أَيْقَنْتُ بِالْعَيْنِ فِى التَّدَانِى … وَبُحْتُ بِالسِّرِّ فَاعْذُرُونِى
عَايَنْتُ حُسْنِى فِى كُلِّ شَيْءٍ … يَلُوحُ حَتَّى بِهِ دَعُونِى
وَعِنْدَ مَجْلَى ذَاتِ الْمَجَالِى … حَقَّقْتُ جَمْعِى فِيهِ شُئُونِى
عَايَنْتُ عَيْنًا لَاغَيْرَ فِيهَا … وَصَحَّ عِنْدِى عَيْنُ الْيَقِينِ
الْكُلُّ فِيهَا تَاهُوا حَيَارَى … يَصِيحُ كُلٌّ لَا تُبْعِدُونِى
أَحْيُوا بِوَصْلٍ صَبًّا مَشُوقًا … عَسَى تراكُم جهراً عُيُونِى
مُنُّوا بِقُرْبٍ لِمُسْتَهَامٍ … يَرْجُو رِضَاكُمْ وَفُّوا دُيُونِى
لَبَّيْكَ يَا مَنْ تُرِيدُ وَصْلًا … تُعْطَى وِدَادَ أَخٍ حَنُونٍ
رُوحِى تَرَاكُمْ قَلْبِى مُعَنَّى … جِسْمِى مَشُوقٌ فَأَسْعِدُونِى
مَالِى سِوَاكُمْ فِى كُلِّ حَالٍ … مُنُّوا بِقُرْبٍ وَسَاعِدُونِى
أَنْتُمْ حَيَاتِى أَنْتُمْ مُرَادِى … فِيكُمْ هُيَامِى فِيكُمْ حَنِينِى
مِنْكُمْ وُجُودِى فِيكُمْ شُهُودِى … أَحْيُوا مُرَاداً يَرْجُو يَقِينِى
أَحْيَيْتَ قَلْبِى نَوَّرْتَ سِرِّى … يَا شَمْسَ حَقٍّ فِى كُلِّ حِينٍ

قال رضى الله عنه :

نُورُ خَيْرِ الرُّسْلِ لَاحَ … صَيَّرَ اللَّيْلَ صَبَاحَا
أَشْرَقَتْ شَمْسُ التِّهَامِى … قَدْ رَأَيْنَاهَا صُرَاحَا
مَرْحَبًا يَا حِبَّ قَلْبِى … نِلْتُ قَصْدِى وَالْفَلَاحَا
أَنْتَ نُورُ الرُّوحِ حَقًّا … نِلْتُ فَضْلَكَ وَالسَّمَاحَا
مَرْحَبًا يَا نُورَ … قَدْ أَضَأْتَ لَنَا الْبِطَاحَا
نُورُ خَيْرِ الرُّسْلِ لاح … فَاشْهَدَنْ نُورًا صُرَاحَا
بِالْعُيُونِ عُيُونِ قَلْبِى … فَالْجَمِيلُ لَنَا أَبَاحَا
مَرْحَبًا يَا نُورَ قَلْبِى … سِرُّ حُبِّكَ لَنْ يُبَاحَا
عَيْنُ رَأْسِى قَدْ رَأَتْهُ … فِى الْمَظَاهِرِ لَا جُنَاحَا
عَيْنُ قَلْبِى قَدْ تَرَاهُ … مُشْرِقًا نُوراً صُرَاحَا

لَمْ يَغِبْ مَحْبُـــوبُ قَلْبِي بَعْـــدَ أَنْ وَافَى وَلاَحَـــا

وُدُّكَ الْعَـــالِي حَبِيبِي فَـــالْمُؤَلَّـــهُ فِيـــكَ صَـــاحَـــا

يَـــارَسُـــولَ اللهِ إِنِّي أَرْجُـــو كَشْفـــاً وَاتِّضَـــاحَـــا

قال رضى الله عنه :

يَـــارَبِّ صَـــلِّ عَلَى مُحَمَّـــد أَحْمَـــدُ حَبِيبِي زَيْنِ الْمِـــلاَحِ

صَفَـــا شَرَابِي وَرَاقَ رَاحِي فَقُمْ وَهَيَّـــا بِنَـــا يَـــا صَـــاحِ

وَادْخُـــلْ لِحَـــانِ الْقَبُـــولِ وَاشْرَبْ وَدَعْ خَلِيلِي مَقَـــالَ لاَحِ

فَبُلْبُـــلُ الرَّوْضِ قَـــدْ تَغَنَّى وَبَشَّرَ الْقَـــوْمَ بِـــالْفَـــلاَحِ

وَطَـــافَ سَـــاقِي الْـــوُصُـــولِ لَيْـــلاً يَسْقِي السُّهَـــارَى رِضَـــا السَّمَـــاحِ

هَـــامُـــوا بِـــذِكْرِ الْحَبِيبِ شَـــوْقَـــا فَبَشَّرُوا مِنْـــهُ بِـــالنَّجَـــاحِ

هَيَّـــا مُرِيـــدَ الْـــوِصَـــالِ وَانْهَضْ لِحُبِّ طَـــهَ زَيْنِ الْمِـــلاَحِ

وَاحْيِ بِـــذِكْرِ الإِلَـــهِ قَلْبَـــاً فَـــالـــذِّكْرُ مِفْتَـــاحٌ لِلصَّـــلاَحِ

أَقْبِـــلْ عَلَى اللهِ لاَ تُبَـــالِي وَ اذْكُرْهُ دَوْمـــاً بِـــلاَ جُنَـــاحِ

قال رضى الله عنه :

صَـــلِّ يَـــارَبِّ وَسَلِّمْ عَلَى النَّبِي طَـــهَ السَّعِيـــدِ

لاَ وَحَقِّـــكَ لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُـــونَ كَمَـــا أُرِيـــدِ

بَـــلْ مُرَادِي مِنْـــكَ أَنِّي عَنْ مُرَادِكَ لاَ أَحِيـــدِ

يَـــا مُرَادِي بَـــلْ وَغَـــوْثِي أَنْتَ لِي رُكْنٌ شَـــدِيـــدِ

عَنْ ثَنَـــائِـــكَ قَـــدْ عَجَـــزْنَـــا وَالأَيَـــادِي قَـــدْ تَـــزِيـــدِ

قَـــدْ وَهَبْتَ الْكَـــوْنَ طُرًّا مَحْضَ فَضْلِـــكَ يَـــا مَجِيـــدِ

أَنْتَ أَوْجَـــدْتَ الْعَـــوَالِمِ وَغَـــداً أَنْتَ تُعِيـــدِ

وَبِفَضْلِـــكَ أَوْ بِعَـــدْلِـــكَ ذَا وُصُـــولٌ أَوْ صُـــدُودِ

فَلَظَى بِالعَذْلِ تُولِى ... وَالنَّعِيمُ لِمَنْ تُرِيد
لَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدُ مَالٌ ... لاَ وَلاَ يَجْزِى الْوَلِيد
غَيْرَ إِحْسَانٍ وَجُودٍ ... مِنْكَ حَقًّا قَدْ يُفِيد
وَحِمَى طَهَ التِّهَامِى ... يَحْتَمِى فِيهِ العَبِيد
عِنْدَهَا يَأْتِى الْمُشَفَّعُ ... فَيُوَافِينَا السُّعُود
وَلَدَى الْعَرْشِ يُنَادِى ... يَا رَحِيماً يَا وَدود
أُمَّتِى وَالنَّاسُ طُرًّا ... فَيُنَادِيهِ الْحَمِيد
يَا حَبِيبِى يَا مُحَمَّدُ ... قَدْ وَهَبْتُكَ مَا تُرِيد
قُمْ إِلَى النَّارِ وَطَأْهَا ... وَانْتَهِ وَأْمُرْ يَا سَعِيد
وَتَمَنَّ تُعْطَ مِنَّا ... وَيُوَافِيكَ الْمَزِيد
فِى الضُّحَى يَا عَرْشَ وَصْفِى ... قَدْ وَعَدْتُ وَلاَ أَحِيد
أُمَّتِى فَضْلاً وَكَرَماً ... بِالسَّمَاحِ لَهَا تَجُود
قَالَ دَارُ الْخُلْدِ عِنْدِى ... وَلَهُمْ عِنْدِى الشُّهُود
يَا حَبِيبِى قَرَّ عَيْناً ... فَأَنَا الْبَرُّ الوَدُود
لَوْ تُرِدْ أَطْفَأْتُ نَارِى ... أَوْ تُرِدْ يُمْحَ الوَعِيد
أَنْتَ أَصْلُ وُجُودِ كَوْنِى ... بَلْ وَأَنْتَ بِهِ الوَحِيد
مِنْكَ أَوْجَدْتُ الْعَوَالِمَ ... وَأَضَاءَ بِكَ الوُجُود

قال رضى الله تعالى عنه :

دَاعِى العِنَايَةِ مِنْ أَزَلٍ يُنَادِينَا ... والمُصْطَفَى لِصِرَاطِ اللهِ يَهْدِينَا
فِى عَهْدِ يَوْمِ (أَلَسْتُ) أَشْرَقَتْ عَلَّنَا ... تِلْكَ العِنَايَةُ بِالحُسْنَى تُوَالِينَا
قَدْ أَنْعَمَ اللهُ بِالحُسْنَى لَنَا أَزَلاً ... حَتَّى خَصَّنَا بِخَيْرِ الرُّسْلِ هَادِينَا
كُنَّا نَعَمْ أُمَّةَ الْمُخْتَارِ مَنْ مُدِحَتْ ... فَاقْرَأْ أَخِى : كُنْتُمُو ، تُعْطَى أَمَانِينَا
الحُبُّ مَبْدَؤُنَا والوَجْهَةُ قِبْلَتُنَا ... وَالْمُصْطَفَى قُدْوَتِى فَاعْلَم مَرَاقِينَا
خَمْرُ المَحَبَّةِ قَدْ دَارَتْ مُقَدَّسَةً ... أَحْيَتْ قُلُوباً صَفَتْ شَهِدَتْ مَبَادِينَا
كَمْ جَاهِلٍ صَارَ بِالعِرْفَانِ مُبْتَهِجاً ... وَكَيْفَ لاَ وَرَسُولُ اللهِ سَاقِينَا

كَمْ أَبْكَمٍ صَارَ بِالعِرْفَانِ فِى رُتَبٍ أَحْيَا رِجَالاً بِهِ صَارُوا مَجَانِينَا

خَمْرٌ نَعَمْ قَدْ سَقَاهَا اللهُ مِنْ أَزَلٍ مَنْ شَمَّهَا قَدْ رَقَى أَعْلَى وَعَالِينَا

مِنْ ذَاقَهَا شَهِدَ الأَسْرَارَ ظَاهِرَةً يَرْقَى بِهَا لِمَقَامِ القُرْبِ مَأْمُونَا

لَمْ يَلْتَفِتْ نَفَساً عَنْ نُورِ خَالِقِهِ حَتَّى يَنَالَ الصَّفَا قُرْبًا وَتَمْكِينَا

هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الأَعْلَى لِمَنْ سَبَقَتْ لَهُ العِنَايَةُ مِنْ إِحْسَانِ بَارِينَا

صَلِّ إِلَهِى عَلَى المَحْبُوبِ سَيِّدِنَا نُعْطَى بِهَا الفَضْلَ وَامْنَحْنَا أَمَانِينَا

قال رضى الله تعالى عنه:

حَبِيبِى قَدْ شَرَحَ صَدْرِى وَآنَسَنِى إِلَى الفَجْرِ

وَنَاوَلَنِى كُؤُوسَ الرَّاحِ صِرْفاً مِنْ يَدِ البَدْرِ

وَأَسْعَدَنِى بِرُؤْيَتِهِ فَنِلْتُ الخَيْرَ بِالبِشْرِ

وَأَطْلَعَنِى عَلَى مَعْنَىً مِنَ الإِحْسَانِ وَالسِّرِّ

وَرَقَّانِى إِلَى أَعْلَى مَقَامِ القُرْبِ وَالسَّيْرِ

رَأَيْتُ الحُسْنَ فِى مَجْلَى رَفِيعِ الشَّأْنِ وَالقَدْرِ

فَأَشْهَدَنِى تَجَلِّيهِ وَأَوْصَلَنِى إِلَى الدَّيْرِ

سَمِعْتُ حَنِينَ رُهْبَانٍ لَدَى نَظَرِى إِلَى الزُّهْرِ

وَعِنْدَ شُهُودِهِمْ حُسْنِى تَمَنَّوا يَقْتَفُوا أَثَرِى

فَكُنْتُ إِمَامَهُمْ لَمَّا دَعَانِى لَيْلَةَ القَدْرِ

أَدَرْتُ الرَّاحَ مِنْ يَدِى وَدَارَ الشُّرْبُ مِنْ بَحْرِى

ونَادَانِى الإِمَامُ هَيَّا أَتَاكَ الوَصْلُ بِالبِشْرِ

فَقُمْ لِلدَّيْرِ يَا مَاضِى فَإِنِّى قَدْ صَدَرَ أَمْرِى

تَمَلَّ بِى وَشَاهِدْنِى وَمِلْ عِنْدِى عَنِ الغَيْرِ

وأنبىء مَنْ يُرِدْ قُرْبِى بِحُسْنِى حَيْثُ لاَ يَدرِى

قال أمدنا الله بمدده آمين:

رَوِّح الرُّوحَ يَاعَبِيرَ التِّهَامِى أَحْيِى قَلْبِى مِنْ طَيْبَةَ بِالسَّلاَمِ

فَفُؤَادِى فِى لَوْعَةٍ واشْتِيَاقٍ وَلَيَالِى الإسْرا تَزِيدُ غَرامِى
أشْهِدَنِّى جَمَالَ وَجْهِكَ حَتَّى أتَهَنَّى مِنْ بَعْدِ رَفْعِ اللّثَامِ
يَاحَبِيبِى يَامَنْ دَنَا فَتَدَلَّى وَرَأى الحَقَّ فِى عَلِىِّ المَقَامِ
يَاحَبِيبِى وَلَيْلَةُ القُرْبِ لاَحَتْ فَتَفَضَّلْ بِالوَصْلِ والإكْرَامِ
أنَا مُضْنًى والوَصْلُ مِنْكَ حَيَاتِى وَمُعَنًّى وَالوَصْلُ يَشْفِى سِقَامِى
يَا ضِيَاءَ اللاَّهُوتِ يَا نُورَ رَبِّى يَا إمَامَ الأمْلاَكِ والأعْلاَمِ
نَظَراً بِالحَنَانِ عَطْفاً وَوُدًّا لِمَشُوقٍ فِى لَهْفَةٍ وَغَرَامِ

قال رضى الله تعالى عنه:

لا يَغيبُ النُّورُ عَنْ أهْلِ اليَقِين كَيْفَ ذا والنورُ فى الأُفْقِ المُبين
نُورُنا شمسٌ عَلَتْ تَدْعُو إلى رَبِّنا المَعْبُودِ مَوْلاَنا المتين
لم تَغِبْ شَمْسُ الحَبِيبِ مُحَمَّدٍ وهوَ نورُ الرُّوحِ فَوْقِى عَنْ يَمين
مَنْ يَقُلْ غَابَتْ فَذَاكَ لِحَجْبِهِ كَيْفَ يَخْفَى نُورُ ربِّ العَالَمين
شَمْسُنَا طَهَ الحَبِيبُ المُصْطَفَى لَمْ تَغِبْ يا طَالِبَ الحَقِّ اليَقين
نَوَّرَتنا الشَمْسُ أصْبَح نُورُهَا مُشْرِقاً فِى كُلِّ فَرْدٍ فِى أمين
رَبَّنا آنِسْ بِنُورِكَ رُوحَنَا كَىْ نَرَى النُّورَ بِعَيْنِ المُسْتَبين
فِى حُضُورٍ فى غِيَابٍ لَمْ تَغِبْ شَمْسُنَا والشَّمسُ غَابَتْ عَن ضَنِين
أينما كَانَتْ يَعُمُّ ضِيَاؤُهَا تَشْهَدُنْهَا الرُّوحُ فى عَيْنِ اليَقِين

قال رضى الله عنه وأرضاه:

حَبِيبُ قَلْبِى مُحَمَّد بِالحُسْنِ وَالنُّورِ مُفْرَد
كَلاَمُهُ نُورُ رُوحِى مِنْهُ العَطَا يَتَجَدَّد
خُذْنِى بِكُلِّى حَبِيبِى إلى المَدِينَةِ أشْهَد
مَوْلاَىَ أسْعِدْ بِوَصْلِكَ حَتَى أرَى نُورَ أحْمَد
آنِسْ مَشُوقاً بِوَصْلٍ عَسَاهُ بِالوَصْلِ يَسْعَد

وقال الإمام رضى الله عنه :

غَنِّ ذِكْرَنَا جَمَالَ مُحَمَّدٍ   واشْرَحَنْ أسرارَهُ يَا مُرْشِدِى

وَاسْقِنَا خَمْرَ القُرانِ ورُوحَهُ   كَىْ نَطِيبَ بِذِكْرِهِ المُتَجَدِّدِ

وَدُّ الأُبُوَّةِ نَظْرَةَ الرَّؤُفِ الذِى   مِنْ نُورِهِ العَالِى جَمَالُ المُفْرَدِ

يَاصَفْوَةَ الرَّحْمَنِ أَنْتَ وَسِيلَتِى   يَوْمَ القِيَامَةِ سَيِّدِي بَلْ مُنْجِدِى

أَحْيِى القُلُوبَ بِمَدْحِ أَكْمَلِ مُرْسَلِ   واشْفِ السّقَامَ بِذِكْرِهِ فِى المَشْهَدِ

مِنْ نُورِهِ مُوسَى الكَلِيمُ خَلِيلُهُ   مِنْ نُورِهِ عِيسَى بِعِلْمِ أَوْحَدِ

يَا سَيِّدِى إِنِّى المَشُوقُ فَارْتَجِى   وَصْلاً بِطَيْبَةَ فِى صَفَاءِ المَوْرِد

« تم بحمد الله وحسن توفيقه »

تحـــــذير

لقد مرد البعض على تزييف مؤلفات الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم بالتغيير والحذف والحشو والإضافة ، كما مردوا مرة أخرى إلى تغيير أسماء كتب الإمام بأسماء تتفق مع أهوائهم وإمعانا فى هذا التعدى على الإمام وتراثه العلمى فقد لجأ هؤلاء إلى بعض الهيئات ودور النشر لطبع هذه المؤلفات بصورة تودى بالهدف الذى توخاه الإمام من كتابته كاختزال عناوين كتبه اختزالا مخلا يفوت ما أراده الإمام من جعل عنوان الكتاب تعبيرا صحيحا عما ورد بين دفتيه ، كما حذفت عن عمد مقدمات الكتب الواردة بالطبعات السابقة واستعيض عنها بمقدمات أخرى . كما أن يد التبديل والحذف والإضافة قد عبثت بصلب هذه المؤلفات عبثا أبسط ما يقال عنه أنه تشويه لما كتبه الإمام وطمس لآثاره العلمية ، ومنع لوصول مفاهيم معينة أراد لها أن تصل إلى الناس .

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

لكل هذا فإننا نحذر القارىء المسلم على وجه العموم ، وإخواننا آل العزائم على وجه الخصوص ، من هؤلاء الذين ضيعوا تراث الإمام ولم يحافظوا عليه وصدق الله تعالى (إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) وذلك بعدم قبول أى مؤلف من مؤلفات الإمام إلا إذا كان صادرا من مشيخة السادة العزمية وبإذن من سماحة السيد عز الدين ماضى أبى العزائم بصفته شيخا للطريقة العزمية والقائم على دعوة جده الإمام ونشر تراثه العلمى .

الإمام المجدِّد السيد محمد ماضى أبو العزائم

نسبه : سليل آل البيت الطاهرين ، حسنى من جهة والدته ، حسينى من جهة والده .

مولده : ولد يوم الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩/١١/٢م بمسجد سيدى زغلول برشيد .

وظائفه : عمل بالتدريس ثم تدرج فى سلك الوظائف حتى صار أستاذا للشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم .

إقالته من وظيفته : كان يرى أن أهم وظائف الرجل الدينى الإرشاد والنصيحة للحاكمين بل لعامة الناس والتحذير من الوقوع فى حبائل الاستعمار فأقصاه الحاكم الإنجليزى من وظيفته فى ١٩ رمضان سنة ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٥/٨/١م .

مطالبته بعودة الخلافة : بعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة فى ١٩٢٤/٣/٢ إلغاء الخلافة الإسلامية دعا الإمام لتأسيس جماعات للخلافة الإسلامية بجميع أنحاء العالم الإسلامى وانتخب رئيسا لجمعية الخلافة الإسلامية بمصر فى ١٩٢٤/٣/٢٠ وناب عن شعب مصر فى حضور مؤتمر الخلافة الإسلامية الذى انعقد فى مكة المكرمة فى شهر ذى الحجة ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٦م .

دعوته : أسس جماعة آل العزائم سنة ١٣١١هـ والطريقة العزمية سنة ١٣٥٣هـ ومقرهما ١١٠ شارع مجلس الشعب بالقاهرة .

مؤلفاته : تذخر المكتبة الإسلامية بمئات الكتب من مؤلفاته فى التفسير والفقه وعلم العقيدة والتصوف والفتاوى والسيرة والمواجيد .

إنتقاله : إنتقل إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٧ رجب سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧/١٠/٣م ودفن بمسجده بشارع مجلس الشعب بالقاهرة .

خليفته الأول : إبنه الأكبر الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبوالعزائم ، شكل عمرا جديدا لدعوة الإمام ونشرتراثه العلمى وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٠ ربيع أول سنة ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠/٥/٢٦م ودفن بمسجد والده الإمام بشارع مجلس الشعب .

خليفته القائم : السيد عزالدين ماضى أبوالعزائم المحامى بالنقض وحفيد الإمام والإبن الأكبر للخليفة الأول وهو شيخ الطريقة العزمية وإمام جماعة آل العزائم حاليا .

محتويات الكتاب

صفحة



رقم الايداع ٣٣٣٣ / ٨٥

International Press

٥ جمال الشاعر — بمدينة الصحفيين ت ٤٧٤٢٥٩

هذا الكتاب

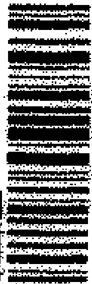
* يبين حقائق السيرة النبوية ، ولذلك جاء هذا الكتاب علاجا لما كنا نشكو منه مر الشكوى من الخرافات التى اضيفت الى حقائق السيرة .

* يكشف انه صلوات الله وسلامه عليه جاء جامعا لخصائص الأنبياء كافة ثم ظفر فوق ذلك بالمقام المحمود الذى لاينبغى لأحد سواه .

* يوضح أنه صلى الله عليه وسلم رحمة الله المهداه ونعمته المسداه ليصنع منا خير امة أخرجت للناس .

* يكشف لنا مشروعية الاحتفال بمولد النبى النبى صلى الله عليه وسلم وأن القرآن يدعو لاحياء مثل هذه الذكريات للعبرة والعظة والعود الى المثل العليا .

* يروح أرواحنا بقصائد محمدية تصور مقامه صلى الله عليه وسلم وقدره وشرف منزلته .





الثمن ... قرشاً